الباب الأول

غرناطة وخططها فى عصر المرابطين والموحدين

obeikandl.com

obeikandl.com

التحديد الجغرافى لإقليم غرناطة

يقع إقليم غـرناطة فى الجزء الجنـوبى الشرقـى من شـبه الجـزيرة الأيبيـرية فى واد عمـيق يمتد من المنحـدر الشمالى الغـربى لجب ال سيرانيـفادا[١] «المعروفـة باسم جبل شلير»[٢] وهى فى معمور الإقليم الخامس[٣]، تحيط بها المرتفـعات من الجنوب والشرق، ويحد إقليم غـرناطة من جهة الجـنوب نهر شنيل[٤]، وهو أحد فـروع الوادى الكبير، كـما يحدها شمالاً ولايات جيان وقرطبة وأشبيلية[٥]، ومن الشرق ولاية المرية ومن الغرب ولاية

---

(١) ابن فضل الله العمرى: مـسالك الأبصار (وصف إفريقية والمغـرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة) نشر حسن حسنى عبد الوهاب: تونس ص ٣٤: ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة جـ ١ ص ٩٦، ص ٩٨ حققه ووضع حواشيه ومقدمته محمد عبد الله عنان: الطبعة الثانية، الناشر مكتبة الخانكى ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م، ابن الخطيب: اللمحـة البدرية فى أخبار الدولة النصرية ص ٢٢.

(٢) «ويسمى جـبل الثلج» وعن وصف جبل شلير، انظر، الإدريسى: محـمد بن عبد العـزيز الشريف الفاورى الإدريسى «وصف المـغرب والأندلس»: من كـتاب نزهة المشـتاق: فى اختـراق الآفاق، تحقيق دورى، ودى خويه ليدن ١٨٦٦م ص ٢٠٣، ابن سعيد: كتـاب الجغرافية تحقيق إسماعيل بيروت ص، ص، طبـعة الجزائر سنة ١٩٨٢، ص ١٦٧، الطـبعة الثانـية، ابن الكردبوس: (أبى مروان عبد الملك) تحـقيق أحمد مختار العبـادى، صحيفة معهد الدراسات الإسـلامية مدريد سنة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦م مجلد ١٣ ص ١٤٥، القاهرة طبعة سنة ١٩٦٣، القلقـشندى: (أبو العباس أحمد بن على) صبح الأعـشى: جـ ٥ ص ٢١٤، الحمـيرى: الروض المعطار فى خـبر الأقطار تحـقيق ليفى بروفنسال ص ٢٣، ص ١١٢ سنة ١٩٦٣م.

(٣) انظر تحديد الإقليم الخامس فى معجم البلدان (لياقوت) الحموى جـ ٥ مادة غرناطة.

(٤) شنيل وهو النهر الـذى تقع عليه مدينة غـرناطة وهو أحد فروع نهـر الوادى الكبير وقـد كان أيام الدولة الإسلامـية غاصـا بالحدائق، انظر ابن الخطيب: الإحـاطة جـ ١ ص ١١٨ هامش رقم ١، اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ص ٢٣، عن نهر شنيل انظر أيضا ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب تحقيق شوقى ضيف ١٩٥٥ جـ ١ ص ١٠٣، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، محمد عبـد الله عنان: الآثار الأندلسية البـاقية ص ١٦١، لنفس المـؤلف: نهاية الأندلس: ص ٥٥ انظر أيضًا عن شنيل العمرى: مسالك الأبصار (وصف إفريقية) ص ٣٥.

(٥) «تبعد غـرناطة عن قرطبة تسعين مـيلاً، والميل عند العرب ثلاثة آلاف ذراع والمسـافة بين غرناطة وقرطبة وفق التقدير الحديث نحو مائة وخمسين كيلو مترا، انظر ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٤ هامش رقم ٥، محمد عبد الله عنان نهاية الأندلس ص ٥٥.

قادس وأرض الفرنتيرة أو إنتقيرة[١] وكانت غرناطة تشتمل على ثلاث ولايات كبيرة هى: غرناطة[٢] العاصمة وهى فى وسط الإقليم وأهم مدنها فى العصر الذى نحن بصدد دراسته، المنكب[٣]: تقع على بعد أربعين ميلاً من غرناطة[٤]، وادى آش[٥]: وتقع تلك المدينة بالقرب من غرناطة، بسطة[٦]: وتقع فى شمال شرق غرناطة بالقرب من وادى

(١) الفرنتيرة أو (أنتقيرة وبالأسبانية Antaquera) مدينة أندلسية حصينة تقع شمال غرب مالقة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٣٨٥ هامش رقم (٦) انظر عنها أيضًا ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: تحقيق أحمد مختار العبادى طبعة سنة ١٩٨٣.

(٢) يذكر المؤرخ الغرناطى الأندلسى ابن الخطيب: فى كتابه الإحاطة «غرناطة» أو «أغرناطة» وكلاهما أعجمى، وقد اختلفت آراء الباحثين فى أصل هذه التسمية، فيرى البعض أن اسم غرناطة يرجع إلى عهد الرومان وأنه مشتق من الكلمة اللاتينية «Granata» ومعناها الرمانة وسميت كذلك لجمالها وكثرة حدائق الرمان بها: انظر كلمة غرناطة " Ency , of Islam "Granada وهذا ما يقرره الجغرافيون العرب إذ يقولون إن معنى غرناطة «الرمانة» بلسان عجم الأندلس، سمى البلد بذلك لحسنه، راجع ياقوت معجم البلدان جـ ٥ مادة غرناطة، ابن الخطيب، الإحاطة جـ ١ ص ٩١، ويروى المستشرق الأسبانى Simonet فى ذلك رأيًا آخر، إذ يقول المرجع إن الاسم يعود إلى عهد القوط وأنه مزيج من كلمة «ناطة» وهو اسم قرية قديمة تقع على مقربة من البيرة «وغار» وهو المقطع الذى أضافه المسلمون، فصارت غرناطة، أو سماها البربر كذلك عند نزولهم بها وهو اسم لإحدى قبائلهم. Descripcion del Reino del Granada

(٣) «ويبدو أنه اسم عربى بمعنى «الحصن» المرتفع وهو مرفأ ساحلى مرتفع فى جنوب شرق الأندلس بمقاطعة غرناطة «ابن الخطيب» مشاهدات ص ٧٩ هامش رقم ٢، عن المنكب، انظر العمرى (وصف إفريقية) ص ٤٧، ابن الخطيب، اللمحة البدرية ص ٢٩، الإدريسى: نزهة المشتاق: (ط د) ص ١٩٩ ليدن سنة ١٨٩٤، البغدادى: مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١٦٤ القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٨، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٦، ياقوت، معجم البلدان جـ ٥ ص ٢١٦.

(٤) الحميرى: المصدر السابق ص ١٨٦ ياقوت، المصدر السابق جـ ٥ ص ٢١٦.

(٥) «مدينة وادى آش أو وادى إيش وتقع هذه المدينة على نهر فردوس عظيم على مسافة ٥٣ كيلو مترًا شمال شرق غرناطة، راجع الإدريسى: المصدر السابق ص ٢٠٢، العمرى (وصف إفريقية) ص ٣٧ القلقشندى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢٢١، ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٩، الحميرى: الروض المعطار ص ١٩٢، المقرى: نفح الطيب: عن غصن الأندلس الرطيب جـ ١ ص ١٤٢ نشر محيى الدين عبد الحميد طبعة سنة ١٩٤٩. Seybold: Ency of Islam, 11. p, 189

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠٩ «وبسطة وهى مدينة قديمة تعرف اليوم باسم Baza وتقع =

آش[١]، حصن اللوز ولوشة[٢]: وتقع على نهر شنيل وتبعد عن مدينة غرناطة بنحو خمسين كيلو متراً من ناحية الجنوب الغربى[٣].

شلوبانية:

وهى من الثغور الصغيرة الواقعة جنوبى ولاية غرناطة على البحر المتوسط، كما أنها تقع شرقى المنكب[٤] وتحيط بها الجبال من الشمال والغرب[٥].

آشكر:

وتقع فى إقليم غرناطة شمالى بسطة[٦].

مدينة مالقة:

وتقع على الساحل الجنوبى الشرقى لبلاد الأندلس فى شرق غرناطة وهى من أشهر مراسى البحر المتوسط[٧] وأهم مدن ثغر مالقة، مدينة بليش مالقة وتقع شرقى

= فى شمال غرناطة بنحو ١٢٣ كيلو متراً ويروى صاحب الروض المعطار أن هذه المدينة كانت مشهورة بمنتجاتها الزراعية ولا سيما الزيتون وبمنسوجاتها الحريرية، وينسب إليها الوطاء البسطى من الديباج الذى لا يعلم له نظير انظر الحميرى: المصدر السابق: ص ٤٤ ـ ص ٤٥، ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: ص ٣٦ هامش رقم ٩ عن بسطة، انظر الإدريسى: نزهة المشتاق ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات المصدر السابق، نفس الصفحة، الحميرى: المصدر السابق ص ٤٤ ـ ص ٤٥.

(١) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠٩، الحميرى: المصدر السابق ص ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) يشير ابن الخطيب: إلى أن هذه البلدة موطنه وعاش والد ابن الخطيب بها، انظر ابن الخطيب: مشاهدات ص ٩٣ هامش رقم ٦.

(٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ٢ ص ١٥٧، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٩ ابن الخطيب مشاهدات: ص ٩٣.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق ص ٨٠ هامش رقم ٥.

(٥) ابن الخطيب: نفس المصدر ٨٠، عن شلوبانية: العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٦، ابن سعيد: المغرب، جـ ٢ ص ١٢٩ الحميرى: الروض المعطار ص ١١١، عنان: الآثار الأندلسية الباقية ص ٢٦٢.

(٦) «بلدة فى ولاية غرناطة وتقع فى شمال بسطة» ابن الخطيب: مشاهدات ص ٨٧ هامش رقم ٣
Simonet: Op Cit, 63.

(٧) «مالقة مدينة ساحلية معروفة فى جنوب شرقى الأندلس أسسها الفينيقيون عام ١٢٠٠ ق م =

مدينة مالقة[١]: على بعد ثلاثين كيلو مترًا منها، كما تبعد عن البحر حوالى خمسة كيلو مترات[٢].

مربلة:

أو ماربلة وهى ثغر أندلسي صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط جنوب غربى مالقة[٣] على بعد ستين كيلو مترا منها[٤].

قمارش:

وتقع بالقرب من مدينة غرناطة[٥].

= وأعطوها اسم «Malaca» ومعناه المملح وذلك نسبة إلى مستودعات الأسماك المملحة التى كانت تعمل وتحفظ فيها واشتهرت مالقة إلى جانب ذلك بزراعة الفواكه الممتازة ولا سيما التين المالقى والرمان، كما اشتهرت بصناعة الفخار «ابن الخطيب: مشاهدات ص ٧٦، ص ٧٧ هامش رقم ٢ عن مالقة انظر Ency Of Islam: art malaga الإدريسى: نزهة المشتاق ص ٢٠٠ ـ ص ٢٠٤، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٣٢ والاصطخرى: (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى» ابن حزم: الرد على ابن النغريلة: ص ١٧٥، ص ١٧٧، المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ٤٢٢، ٢٤٣، ابن بطوطة: (أبو عبد الله محمد الطنجى اللواتى) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، نشر وترجمة Defremery et sanguine (باريس ١٩٢٢) ص ١٨٧ جـ ٢، ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٨ هامش رقم ٦، العمرى: وصف أفريقية ص ٤٧ هامش رقم ٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٧٧، ص ١٧٨، ابن سعيد: الجغرافيا تحقيق إسماعيل العربى ص ١٤٠، المقرى: نفح الطيب جـ ٣ ط بيروت تحقيق إحسان عباس سنة ١٩٦٧، ص ٢١٩، ازدهار الرياض فى أخبار القاضى عياض جـ ٥ ص ٤١، عنان الآثار الأندلسية، ص ٢٥٤ Scott: Hist Of The Moorish Empire V III الاصطخرى: المسالك والممالك نشر دى خوية لبدن سنة ١٨٦٧.

(١) ابن سعيد: المصدر السابق جـ ١ ص ٤٤٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٧٨ حاشية ٦، ابن بطوطة: الرحلة، جـ ٢ ص ١١١٨٧ - Simonet: Descripcion del reno se Granada p.p 93 .

(٢) انظر ابن الخطيب: المصدر السابق ص ٧٨ حاشية، ابن سعيد: المصدر السابق جـ ١ ص ٤٤٢، ابن بطوطة: المصدر السابق: جـ ٢ نفس الصفحة.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٩٧، هامش رقم ٤، مشاهدات ص ٧٥ هامش رقم ٤، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٠.

(٤) ابن الخطيب: مشاهدات نفس الصفحة، العمرى: وصف أفريقية ص ٤٩.

(٥) «وهى وافرة الماء والزرع من كروم وزيت، وحبوب» ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٩ حاشية ١، حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ص ٥٨٣ ص عدد سنة ١٩٦٧م.

رُندة:

وتقع غربى مالقة[١].

أنتقيرة:

وتبعد عن مالقة ٥٩ كيلو متراً[٢].

أرشذونة:

من أعمال مالقة[٣] أيضا وتـقع فى بطن واد عمـيق سحيق تـحيط به الجبـال من كل ناحية[٤].

المرية[٥]:

وتقع على الساحـل الشرقى للأندلس[٦] بين إمارتى مـالقة ومرية[٧]، ومن أهم مـدن مدينة المرية أندرش[٨] وهى من أعمالها.

---

(١) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ١ ص ٣٣٤، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ٢ ص ٣٠، مـشاهدات ث ٥٩ هامش رقـم ٤ ص ٩٦، القلقشندى: صـبح الأعـشى: جـ ٥، ص ٢٢٠، ابن بطوطة، الرحلة جـ ٢ ص ١٨٥، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٣٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٣٨٥، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٩٤ حاشية ٦.

(٣) ابن الخطيب: الإحـاطة جـ ١ ص ٢٨٦ هامش ٦، مـشاهدات ص ٩٤ هامش ٤، ياقـوت معـجم البلدان جـ ١ ص ١٩٢.

(٤) العمرى: مسالك الأبصار، (وصف أفريقية) ص ٤٩ Simonet: op cit, p 83, Ency of Islam Art Archidana.

(٥) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٣ ـ ص ١٨٤، الإدريسى: نزهة المـشتاق: (وصف المغرب) ط د ص ١٩٧، القلقشندى: صـبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٧، ابن الخطيب: اللمحـة البدرية ص ٢٩.

(1) Ency of Islam I.P.317, R.B. Sarent: Islamic textiles material for a history up. to the Mongol conquest. p. 169.

(٦) الإدريسى: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) القلقشندى: نفس المصدر: جـ ٥ نفس الصفحة: العمرى: مسالك الأبصار: (وصف أفريقية) ص ٤٠.

(٨) «أندرش: بلد من أعمال المرية غيـر موجودة الآن ولكن لا يزال اسم أندرش يطلق على نهر هناك ينبع من جبل شلير وينحدر شرقا وجنوبا ثم يصب مياهه فى البحر المتوسط عند المرية» انظر ابن الخطيب: مشاهدات ص ٨٨ هامش رقم ١ عن أندرش انظر الحميرى: الروض المعطار ص ٣١.

برشانة:

وهى بلد صغيرة تقع شمال المرية فى واد آش[١] ، على بعد ثمانية عشر ميلا من المرية[٢].

برجة:

وهى من أعمال المرية أيضًا وتقع غربى ثغر المرية[٣].

دلاية:

قرية فى الأندلس من أعمال المرية[٤] تقع على بعد ٩ كيلو مترات فى جنوب شرق برجة[٥].

شنس:

وهو حصن على مرحلة من المرية[٦].

دوجر: وهى من أعمال المرية أيضًا وتقع على واديها المسمى بوادى المرية وبينها وبين المرية إثنتا عشرة مرحلة وهى فى الغرب منها[٧].

بيرة:

وهى بلدة حصينة تشرف على ساحل البحر المتوسط فى شمال شرق غرناطة[٨].

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٩ هامش ٥، اللمحة البدرية ص ٢٩، الإحاطة مؤنس: الجغرافية والجغرافيون ص ٥٦٧.

(٢) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٢٢٣، عن برشانة انظر ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣٦.

(٣) ابن سعيد: المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢٨، ابن الخطيب الإحاطة جـ ١ ١٤٥ هامش ٦، مشاهدات ص ٨١ هامش رقم ٢.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق: ص ٨١ هامش رقم ٢، الإحاطة جـ ١ ص ٩٨.

(٥) ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٢٩، الحميرى: الروض المعطار: ص ٧٧، حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون: ص ٥٦٧، ص ٥٨٤.

(٦) ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ٢٢٥.

(٧) ابن سعيد: المصدر السابق، جـ ٢ ص ٢٢٧.

(٨) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠٩ هامش رقم ٥.

obeikandl.com

الحامة:

وتقع الحامة بالقرب من مدينة بجانة[١] وهى من أعمال المرية.

المنصورة:

وتقع شمال شرق المرية[٢].

نشأة غرناطة:

كانت غرناطة ـ حين افتتح العرب بلاد الأندلس ـ مدينة صغيرة من أعمال ولاية البيرة قاعدة الولاية[٣]، التى تبعد عن غرناطة حوالى ستة أميال[٤]، وقد سقطت غرناطة فى أيدى العرب عقب انتصارهم على القوط بقيادة طارق بن زياد[٥] فى موقعة شريش فى رمضان سنة ٩٢هـ/ يوليو ٧١١م[٦].

(١) «وهى بلد صغيرة على قمة جبل بالقرب من مدينة بجانة من أعمال المرية وقد أطلق العرب عليها اسم الحمة نسبة إلى العين الحارة التى تفجرت بها، ويروى الكتاب المسلمون أن مياه هذه العين كانت كبريتية ويقصدها أهل الأسقام والعاهات من جميع النواحى، فلا يكاد يخطئهم نفعها» انظر الحميرى: الروض المعطار ص ٣٩.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠٩ هامش ٥.

(٣) ابن غالب: (محمد بن أيوب الأندلسى) قطعة من كتاب فرحة الأنفس، تحقيق لطفى عبد البديع: مجلة معهد المخطوطات العربية مجلة ١ جـ ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٥ ص ٢٨٣، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ٢ ص ٩٠، ابن الخطيب: أعمال الأعلام جـ ١ ص ٩١، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٩، الحميرى: المصدر السابق ص ٢٣.

(٥) اختلف مؤرخو العرب فى أصله فيذهب بعضهم إلى أنه كان فارسيا همدانيا (انظر مجهول: أخبار مجموعة فى الأندلس، نشر دون لافونتى Lafunote مدريد سنة ١٨٦٧ ص ٦، المقرى: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: نشر وتحقيق محيى الدين عبد الحميد: القاهرة سنة ١٩٤٩م جـ ١ ص ٢٣٨) والبعض يذكر أنه كان بربريا من نغزة انظر ابن عذارى: البيان جـ ١ ص ٧، الحميرى: الروض المعطار ص ٩ والبعض الآخر يذكر أنه عربيا من صدف انظر، مجهول: المصدر السابق ص ٢٦، الحميرى: الروض المعطار ص ٩ المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ٢٣٨.

(٦) اختلفت الآراء حول تاريخ افتتاح غرناطة، يذكر ابن الخطيب: فى كتابه الإحاطة جـ ١ ص ٩٠، اللمحة البدرية ص ٢٩ أن افتتاح غرناطة كان عام ٩٣ هـ وكذلك النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٤٨، بينما يذهب ابن عذارى إلى أن افتتاح غرناطة ومالقا وما والاها كان عام ٩٢ هـ.

ويذهب الدكتور حسين مؤنس إلى أن المسلمين لم يفتحوا غرناطة ومالقة وتدمير إلا فى ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٣هـ[١]/ ٧١٢م ولا يستبعد أن يكون طارق ابن زياد قد بعث سرايا صغيرة إلى تلك المدينة وغيرها لمجرد الاستطلاع[٢]، وحين اشتد الخلاف بين القبائل واشتد التنافس على الإمارة بين الشاميين من ناحية والعرب من ناحية أخرى[٣] رأى أمير الأندلس[٤] أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى[٥] أن يعمل على تهدئة الفتنة بتمزيق عصبية الشاميين ففرقهم فى أنحاء الأندلس، فأنزل أهل دمشق البيرة وأهل الأردن رية وأهل فلسطين شذونة وأهل حمص أشبيلية وأهل قنسرين جيان وأهل مصر باجة وبعضهم بتدمير[٦].

---

(١) النوبرى: نهاية الأرب: نفس الجزء والصفحة، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠١، حسين مؤنس فجر الأندلس ص ٧٧.

(٢) النوبرى: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة، ابن الخطيب: نفس الجزء والصفحة.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٢ ص ٣٣: مجهول: أخبار مجموعة فى فتح الأندلس طبعة مجريط ١٨٦٧. ص ٥٩، ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٥، ص ٢٩٦، ص ٢٩٧، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس: ص ١٤٠، ص ١٤١، ١٩٠٦، الضبى: (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ص ١٠، ضمن المكتبة الأندلسية مصر سنة ١٩٦٧، الحميرى: (أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدى) جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، ضمن المكتبة الأندلسية ص ٥ سنة ١٩٦٦.

(٤) كانت الأندلس عقب الفتح تعتبر ولاية تابعة لإفريقية من الناحية الإدارية وكان والى إفريقية هو الذى يختار حاكمها واستمر ذلك معظم عصر الولاية، انظر ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ هامش رقم ٥.

(٥) «عندما نشبت الفتنة بين الشاميين والعرب (البلديين) واقترب أهل الأندلس، أمر الخليفة هشام بن عبد الملك ـ (توفى فى ربيع سنة ١٢٥ هـ) واليه على إفريقية حنظلة بن صفوان بأن يوالى أبا الخطار ليضع حدًا للفتنة القائمة، فقدم إلى الأندلس ١٢٥ هـ ـ ٧١٣م مكث فى الولاية سنتين وتسعة أشهر ثم قتل سنة ١٢٨ هـ» انظر ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٢ ص ٣٦ ـ ص ٣٧ عن أبى الخطار انظر الحميرى: الجذوة ص ٥، الضبى: البغية ص ١٠.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٣، اللمحة البدرية هـ ١ ص ٢٦، ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٣» تدمير هى إحدى ولايات الأندلس الشرقية سميت باسم أميرها والمدافع عنها تيودمير ثم غدت بعد ذلك ولاية مرية، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠١ هامش رقم ٦.

وقد اردهرت مدينة البيرة فى عهد الخلافة الأموية وأصبحت عاصمة الولاية[١]، واستمرت كذلك حتى أواخر القرن الرابع حينما انهارت الخلافة الأموية وظاهر البربر سليمان بن عبد الرحمن الناصر وخربوا مدينة قرطبة سنة ٤٠٣هـ (١٠١١م) واستولى زعماؤهم على معظم قواعد الأندلس الجنوبية، حينئذ خربوا مدينة البيرة ولجأوا إلى مدينة غرناطة التى نمت شيئًا فشيئًا حتى غدت قاعدة الولاية[٢] بأسرها، واتخذها بنوزيرى عاصمة لهم وذلك لتوسطها وحصانتها[٣]، وبدأ منذ ذلك الحين اسم غرناطة يغلب ويختفى اسم البيرة رويدًا رويدًا، كقاعدة من قواعد الأندلس ويحل محله اسم غرناطة[٤].

ثم حدث بعد ذلك أن تدهورت الأحوال السياسية منذ عهد ملوك الطوائف[٥] وبدأت الجبهة النصرانية توجه الصراع ضد المسلمين فى دور جديد وعجز ملوك الطوائف عن صد عدوان النصارى فسقطت طليطلة إحدى قواعد الأندلس الكبيرة فى يد ألفونسو السادس وذلك فى شهر صفر (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)[٦] وبدأت مرحلة جديدة فى تاريخ المسلمين فى

(١) الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، ص ٢٩.

(٢) الأمير عبد الله بن بلقين: (آخر ملوك بنى زيرى فى غرناطة) مذكرات الأمير عبد الله (التبيان) ص ٢٢ نشر وتحقيق ليفى بروفنسال دار المعارف، ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٣.

(٣) عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٣، اللمحة البدرية ص ٣١، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٩.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٣، اللمحة البدرية ص ٣١، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، ص ٢٤.

(٥) «طوائف الأندلس، هم زعماء الطوائف الذين اقتسموا ولايات الأندلس وقواعدها عقب انهيار الخلافة وثورة البربر وأسسوا لأنفسهم فى ولايات الأندلس وقواعدها إمارات وممالك صغيرة وعرف أولئك الزعماء بملوك الطوائف، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٤٠ هامش رقم ٣.

(٦) مجهول: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ص ٢٥ تحقيق عبد القادر زمامة، عن سقوط طليطلة انظر، ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، المجلد الأول قسم ٤، ص ١٦٢ ص ١٦٣، وما بعدها، المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٦، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٥٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٨٦، ابن عذارى: البيان جـ ٣ ص ٢٨٢ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص٢٥٤، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس (عصر الطوائف) ص١١٠، الحجى التاريخ الأندلسى ص ٣٣٧ جـ ١ سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ (4) pidal (M) the cid and spain London 1934 p. 207 ومنذ ذلك الحين سما قدر الفونسو فى نظر معاصريه مما جعله يتخذ لقب امبراطور، انظر pidal (M) op. cit

هذه البلاد وكان للنكبة التى حلت بطليطلة أثر كبير على المسلمين فى الأندلس، وشعر ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد بخطورة الوضع فلجأوا إلى الاستعانة بالمرابطين وذلك منذ سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م)[١] فاستجاب يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين وعبر إلى الأندلس ثم ما لبث أن انتصر على جيوش النصارى الأسبان بقيادة ألفونسو فى معركة الزلاقة فى شهر رجب سنة ٤٧٩هـ[٢] (١٠٨٦م) ومنذ ذلك الوقت بدأ

(١) ابن الأبار: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى) الحلة السيراء جـ ٢ ص ٥٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس وتاريخ مدينة فاس ج١ أوبسالة، طبعة دار المنصور ص ١٤٢، يذكر صاحب كتاب الحلل الموشية أنه «وفد على مراكش جماعة من أهل الأندلس شارحين ليوسف بن تاشفين أحوال الأندلس طالبين منه التدخل لنجدة الإسلام والمسلمين فوعدهم بتحقيق مطلبهم» مجهول: الحلل الموشية: ص ٣٣: عن استدعاء ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد، انظر ابن الكردبوس: الاكتفاء بأخبار الخلفاء «مخطوط» نشر أحمد مختار العبادى: معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١ ص ٨٩ ـ ص ٩٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٧ ص ١١٣، ص ١١٥ النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ٢٤ تحقيق حسين نصار ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣، الحميرى: الروض المعطار: ص ٨٦ ص ٢٦٧ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١٠ طبعة صادر بيروت ص ١٥١، ص ١٥٢ القاضى عياض: (أبو الفضل عياض بن موسى) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لمعرفة علماء مذهب مالك تحقيق أحمد بكير محمود منشورات دار الحياة بيروت جـ ٣ ـ ٤ ص ٨٠٨.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب جـ ١ أوبسالة جـ ٢ ص ٥٢، طبعة دار المنصور ص ١٤٩، ابن بسام: الذخيرة: قسم ٢ مجلد رقم ١ ص ٢٤١ تحقيق إحسان عباس: ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١ دار صادر بيروت سنة ١٩٦٧ جـ ١ ص ١٥٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٧ ص ١١٧، مجهول: الحلل الموشية ص ٥٩، مذكرات الأمير عبد الله (التبيان) ص ١٠٤، المراكشى: المعجب ص ١٣٢ القاهرة سنة ١٩٤٩ ابن الخطيب: أعمال الأعلام: القسم الثالث ص ٢٤٢ ـ ص ٢٤٣ ابن أبى دينار القيروانى: المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ص ١٠٨، المكتبة العتيقة تونس طبعة ٣ سنة ١٩٦٧، «يختلف ابن خلدون: والمراكشى: وابن أبى دينار فى تحديد معركة الزلاقة فيجعلونها سنة ٤٨١ هـ انظر ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٨٦ جـ ١ بيروت سنة ١٩٧١، ابن الكردبوس: الاكتفاء ص ٩٥ عن الزلاقة أيضا انظر يوسف أشباح: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ترجمة عبد الله عنان القاهرة سنة ١٩٥٨ ص ٨٠ ـ ص ٨٣ راجع تفصيلات الزلاقة فى كتاب حسن أحمد محمود قيام دولة المرابطين ص ٢٧٣ ـ ص ٢٨٨.

(1) Huici Miranda: "Ambrios" La invasion de los Almoravidesy la batalla de Zallaca, (Hesperis 1953), T. XI, P. 40

المرابطون يتطلعون للاستيلاء على الأندلس خاصة بعد أن وقفوا على أحواله وعلى مدى ضعف ملوك الطوائف وتفككهم، فامتدت يد يوسف بن تاشفين فكرة الاستيلاء على البلاد الأندلسية ووضع حد لأطماع النصارى هناك ويذكر الأمير عبد الله بن بلقين[١] آخر ملوك غرناطة في مذكراته كيف اكتشف يوسف بن تاشفين حجم الخلافات بين ملوك الطوائف في أعقاب معركة الزلاقة حيث يقول: «وأخذ أمير المسلمين في الانصراف إلى بلاده وقد أطلع عيانا وسماعًا من اختلاف كلمتنا ما لم يروجها لبقائنا في الجزيرة»[٢].

ومما ساعد يوسف بن تاشفين على الاستيلاء على الأندلس أن أغلب أهل الأندلس كان يتشوق للخلاص من حكم ملوك الطوائف بعد أن أثقلت المغارم والضرائب كاهلهم[٣]، وكذلك شجع فقهاء المغرب والأندلس[٤] والمشرق أيضًا يوسف بن تاشفين على خلع ملوك الطوائف، يقول الحميري «وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين الله والإسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته، فيستمع، إليهم ويصغى لقولهم وترق نفسه لهم»[٥] فخرج يوسف بن

---

(١) هو عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيرى الملك الثالث والأمير لمملكة غرناطة (٤٤٧ هـ / ١٠٥٦م) ثم اعتلى عرش غرناطة سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٧ وكان عهد الأمير عبد الله: سلسلة من المنازعات والاضطرابات الداخلية والنزاع المسلح مع جيرانه المسلمين والمتواطئين مع الفونسو السادس ملك قشتالة وانتهت مملكته سنة ٤٨٣ هـ وهي التي عزله فيها المرابطون ونفوه إلى أغمات وفيها كتب مذكراته هذه، انظر بروفنسال مقدمة الأمير عبد الله ص ٧.

(٢) مذكرات الأمير عبد الله (التبيان) ص ١٠٧.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢٠، ابن حزم: الرد على ابن النغرية ص ١٧٦.

(٤) ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٨٨ طبعة بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ ١٠ ص ١٥١ ص ١٥٢.

(٥) الحميري: الروض المعطار: ص ٨٦ عن استدعاء الأندلسيين ليوسف بن تاشفين انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٧ ص ١١٣ ـ ص ١١٦، ابن الأبار: الحلة السيراء جـ ٢ ص ٩٨، ص ٩٩ تحقيق حسين مؤنس: جزءان القاهرة سنة ١٩٦٣م، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ١١٢ ـ ١١٥، المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ٣٥٩، ص ٣٦٠ طبعة ١٩٦٨م / ١٣٣٨ هـ تحقيق إحسان عباس، محمد بن محمد بن عبد الله: مجموعة الوثائق المصرية طبع مصر ١٣٤٩ هـ، الحميري ص ٨٦.

تاشفين غازيا لبلادهم وتمكن من الاستيلاء على مدينة القة وغرناطة ثم على باقي البلاد الأندلسية[١]، وعزل جميع ملوك الطوائف ما عدا بني هود[٢].

ومنذ ذلك الحين أصبحت غرناطة شأنها شأن الولايات الأندلسية تابعة للحكومة المركزية في مراكش وارداد تدفق البربر على إقليمها خاصة كما يذكر الدكتور حسين مؤنس لأنها أقرب إلى بر العدوة وأوفق لهم من ناحية ولأن معظم أهلها من بربر أفريقية[٣] من ناحية أخرى، ويؤكد ابن الخطيب أهمية غرناطة بالنسبة للمرابطين حيث يقول «وهي دار منعة وكرسي ملك ومقام حصانة، وكان ابن غانية[٤] يقول للمرابطين في مرض موته، وقد عول عليها للامتثال بدعوتهم: الأندلس درقة وغرناطة قبضتها فإذا أجشمتم يا معشر المرابطين القبضة، لم تخرج الدرقة من أيديكم»[٥].

ولقد أمضى المرابطون أغلب فترة حكمهم للأندلس في جهاد مستمر ضد القوى النصرانية ولكن لما بدأ الضعف يسري في جسم الدولة المرابطية وظهر الموحدون في المغرب وتنكر الأندلسيون لهم واشتد ضغط النصارى على الأندلس منتهزين فرصة انشغال

---

(١) ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ١٥٢، ص ١٥٣ ـ ص ١٥٥ الرباط سنة ١٩٧٢، النويري: نهاية الأرب: جـ ٤ ص ٢٦٧ مخطوط جـ ٢٢ ورقة ١٨٣ عن استيلاء المرابطين على غرناطة انظر مذكرات الأمير عبد الله: التبيان ص ١٠٧ ـ ص ١٢٢، مجهول: الحلل الموشية ص ٧١ ـ ص ٧٣، مجهول: نبذة تاريخية جامعة في أخبار البربر في القرون الوسطى، ألف سنة ٧١٢ هـ نشرها ليفي برفنسال: الرباط سنة ١٩٣٤.

(٢) مجهول: الحلل الموشية، ص ٧٣.

(٣) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) مجلد ١١ جـ ٢ ص ٩٧ سنة ١٩٤٩ م.

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن غانية كبير قواد المرابطين في الأندلس حين اضطرب سلطانهم فيها، وخرج عليهم معظم الزعماء الأندلسيين في نفس الوقت الذي عبر فيه خصومهم الموحدون البحر إلى الأندلس يريدون افتتاحها (٥٤٠ هـ) وبذل ابن غانية جهدا كبيرًا في الدفاع عن سلطان المرابطين، ولكن القواعد الأندلسية خرجت من قبضته تباعًا واضطر في النهاية أن يمتنع بغرناطة التي طوقها الموحدون وسقط ابن غانية قتيلا في الموقعة التي تلت بين المرابطين والموحدين ودفنه بغرناطة سنة ٥٤٣ هـ انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٧٩ هامش رقم ٢.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق: نفس المصدر: الجزء والصفحة.

الدولة بالاضطرابات الداخلية[١]، فقامت بهجمات متتالية على ممتلكات المسلمين، وتوالت على الجيوش المرابطية الهزائم المتتالية[٢]، فقدوا ثقة الناس وتحرج موقفهم وكانت هزائمهم فى الأندلس ممهدة فعلاً لأمر الموحدين بالمغرب[٣] الذين كانوا سببًا مباشرًا فى سقوط دولة المرابطين.

(١) عن سقوط دولة المرابطين: وأسبابها انظر الثورات فى الأندلس ضد الحكم المرابطى، مجهول: الحلل الموشية ص ٨٦، ص ٨٧، ابن الخطيب أعمال الأعلام «تاريخ أسبانيا الإسلامية» بيروت دار الكشوف الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ تحقيق ليفى بروفنسال، ص ٢٤٩، ص ٢٥٠، ص ٢٥١، ص ٢٥٢، ص ٢٥٣، ص ٢٥٤، ص ٢٥٥، ص ٢٥٦، ص ٢٥٧، ص ٢٥٨، ابن الأثير الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٢٥٨، طبعة دار صادر بيروت، ابن الأبار، الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢١١، ص ٢١٣، ص ٢١٤، ٢١٨ وعن أثر الفقهاء فى القضاء على الدولة المرابطية، انظر المراكشى: (عبد الواحد) ص ٢٣٥ طبعة سنة ١٩٦٣ م ـ ١٣٨٣ هـ تحقيق محمد سعيد العريان ونفس المصدر والمحقق: ١٩٤٩، ص ١٧٠، ص ١٧٧، الفتح بن خاقان قلائد، العقيان فى محاسن الأعيان ص ٣٤٣، مصورة من طبعة باريس نشر المكتبة العتيقة تونس، محمد عبد الله دولة الإسلام فى الأندلس، عصر المرابطين ص ٣٠٥، ص ٣١٨ عبد الله علام: الدعوة الموحدية بالمغرب، القاهرة سنة ١٩٦٤ ص ١٧، ص ١٨، رابح تونار: المغرب العربى تاريخه وثقافته ص ٢٤٠، الجزائر سنة ١٩٦٨ م.

(٢) عن ضعف جيوش المرابطين وأثرها فى انهيار دولة المرابطين انظر ابن القاض: جذوة الاقتباس (أحمد بن القاضى: المكناسى) فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، القسم الثانى ص ١٧١ دار المنصور للطباعة والوراقة سنة ١٩٧٤ م «حيث يذكر هذا المؤلف مدى ضعف جيش المرابطين فى المعركة التى دارت بين تاشفين وعبد المؤمن بن على والتى هزم فيها المرابطون واستولى الموحدون على وهران سنة ٥٣٩ هـ ١١٤٤ م انظر المصدر والصفحة.

(٣) ابن القطان: (أبو على حسين بن على بن القطان) جزء من كتاب نظم الجمان، تحقيق محمود على مكى تطوان، المغرب، المطبعة المهدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط ص ١١١، عن ظهور الموحدين وقيام دولتهم فى المغرب وامتدادها إلى الأندلس انظر المراكشى: (عبد الواحد) المعجب: ص ٢٤٦، ص ٢٥٥، ص ٢٥٩، ابن تومرت: (محمد بن عبد الله) أعز ما يطلب، مشتمل على تعاليق الإمام محمد بن تومرت مما أملاه أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على، ص ٢٥٨ ـ ص ٢٦٦ الجزائر سنة ١٩٠٣ م / ١٣٣١ هـ البيذق. (أبو بكر بن على الصنهاجى) أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ص ٣٥، مجهول. الحلل الموشية ص ١١٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس ص ١٨٧، ص ١٩١ (أحمد خالد الناصر السلاوى أبو العباس) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق جعفر الناصرى، ومحمد الناصرى، دار الكتاب الدار البيضاء، المغرب سنة ١٩٥٤، ١٣٧٣ الجزء الثانى ص ٩٧، ص ٩٨، ص ١٠٤، ص ١٠٥، ص ١٠٦.

وقد كانت هذه الحركة على قدر كبير من الإحكام والتنظيم مما كفل لها الاستمرار إلى أن سقطت الدولة المرابطية وقامت على أنقاضها، وأول شيء فعلته هذه الحركة هو رفع لواء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذه هى المرحلة الأولى للدعوة الموحدية، فقد قامت هذه الدعوة على يد ابن تومرت[١] الذى قام بالدعوة ضد المرابطين الذين وصفهم بالكفر ودعا إلى قتالهم[٢]، وأخذ فى بداية الأمر بتدريس العلم من غير أن يظهر أى أمر سياسى فألف فى العقيدة بلسان المصامدة، أهل السوس كما بدأ باستمالة رؤساء القبائل وأكثر من الحديث عن المهدى المنتظر وتشويق الناس إليه، وأخيرًا ادعى أنه هو المهدى المنتظر[٣]، وقال بعصمته فبايعه الناس على ذلك[٤] ومن هنا بدأ فى تنظيم صفوفه بعد أن أعلن غايته وأهدافه المتمثلة فى إسقاط دولة المرابطين.

ولقد دخل محمد بن تومرت فى صراع مع الدولة المرابطية، يبدو فيه إصرار ابن تومرت على تحقيق هدفه وإحساسه بقرب نهاية الدولة المرابطة وشن ابن تومرت تسع حملات عسكرية ضد المرابطين والقبائل المجاورة ولم ينهزم إلا فى موقعة البحيرة التى توفى فى أعقابها[٥].

(١) هو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدى: المؤسس الأول للدولة الموحدية فى المغرب وهو من جبل السوس الأقصى ببلاد المغرب: حيث نشأ هناك ثم رحل إلى المشرق طالبا للعلم فزار هناك العراق كما حج بيت الله الحرام وأقام بمكة وقتا من الزمن ودرس فيها الحديث وأصول الفقة والدين، بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مكة ثم رحل عنها إلى مصر فطرد منها وتوجه إلى المهدية فوصلها سنة ٥٠٥ هـ ومن المهدية انتقل إلى بجاية وهناك التقى بعبد المؤمن بن على، ومنها خرج مع بعض أصحابه إلى مراكش وفى مراكش جرت له مع فقهائها مناظرات فقهية لم تسفر عن شيء سوى هروب ابن تومرت من مراكش إلى أغمات ومنها إلى تينمل من بلاد السوس ومن هذه البلدة بدأت حركته تأخذ طابعا عسكريا، ومن هذا البلد نزل بعساكره محاصرا مراكش وتوفى سنة ٥٢٤ هـ ودفن فى تينمل: ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٥، ص ٤٥٦ وما بعدها.

(٢) ابن تومرت: أعز ما يطلب «مشتمل على جميع تعاليق الإمام محمد بن تومرت مما أملاه على أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ص ٢٥٨.

(٣) المراكشى: المعجب ص ١٧٨ وما بعدها طبعة سنة ١٩٤٩.

(٤) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٥٥ طبعة سنة ١٩٦٣ م انظر: النويرى نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٢٧٧، ص ٢٨٦ حسين نصار، Budget: the Moorish Empire, P. 165.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر، البيذق، أخبار المهدى ابن تومرت الرباط سنة ١٩٧١ ص ٣٥ وطبعة =

خلف ابن تومرت عبد المؤمن بن على[١]، فواصل تضييق الخناق على الدولة المرابطية، وتمكن من فتح وهران وتلمسان عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م وسقطت مدينة فاس فى أيدى الموحدين[٢] عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م وبعد سقوط فاس أخذت القبائل تتوافد عليه كما أن عدداً من المدن بعثت إليه بولاتها كمدينة سبتة[٣] بعد ذلك ضيق الموحدون الحصار على مراكش الذى استمر تسعة أشهر وكان أمير المرابطين المعاصر لهذه الأحداث هو إسحاق بن على بن يوسف بن تاشفين، ولما أرهقهم الحصار برزوا لمدافعة الموحدين فانهزم المرابطون فتبعهم الموحدون واقتحموا عليهم المدينة واعتصم إسحاق وأعيان قومه فى القصبة ونزلوا على حكم الموحدين الذين حكموا على إسحاق بالموت[٤] وبذا

= ليفى برفنسال ١٩٢٨ وباديس ص ٧٤، ص ٨٣، ابن القطان: نظم الجمان: ص ١١٨، ص ١١٩، ص ١٢٠، ص ١٢٢، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٨٦ تحقيق إحسان عباس، النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص٢٨٧، ص ٢٨٨، المراكشى: المعجب ص ١٩٢، ص ١٩٣، ص ١٩٤، طبعة سنة ١٩٤٩، ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث ص٢٧٠، مجهول: الحلل الموشية: ص ١١٠ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس: عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول ص ١٩٠ طبعة سنة ١٩٦٤، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ٧٩، عبد الله علام: الدعوة الموحدية: ص ٢٠٤.

(١) هو الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على الكومى (٥٢٤ هـ ـ ٥٥٨ هـ) والكومى نسبه إلى كومية أو كومة قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان، وأمه حرة كومية أيضا، وكان والد عبد المؤمن صانعا فى عمل الطين يعمل منه الأوانى والجرار فيبيعها، وذلك كل مرتزقة، ثم كان من أمر ابنه عبد المؤمن ما كان، انظر المركشى المعجب: ص ٢٦٥، ص ٢٦٩، هامش (١) هامش (٢) لمزيد من التفاصيل: انظر البيذق أخبار المهدى ص ٢١، ص ٢٢ ط ٢، ١٩٢٨ باريس، المراكشى المعجب ط ١ سنة ١٩٤٩، ص ١٩٦، ١٩٧ النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٢ مخطوط مجلد ٢ ص ٨٤، المنشور جـ ٢٤ ـ ص ٢٨٩، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس: ص ١٨٧ وما بعدها طبعة دار المنصور.

(٢) ابن أبى زرع: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) الناصرى (السلاوى): الاستقصا فى أخبار دول المغرب الأقصى جـ ٢ ص ٩٧ الدار البيضاء، سنة ١٩٥٤ سنة ١٣٧٤.

(٤) السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ٩٧، ص ٩٨، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤، ص ١٠٨، ابن دحية: عمر بن الشيخ الإمام أبى على (٦٢٣ هـ) المطرب فى أشعار أهل المغرب ط ١ الخرطوم سنة ١٩٥٤ ص ٣١ يذكر النويرى أن الحصار دام أحد عشر شهرا، النويرى: المصدر السابق جـ ٢٤ ص ٢٩٦، البيذق: أخبار المهدى: ص ٨٤ وما بعدها.

تكـون دولة المرابـطين قد سقطت نهـائيًا فى المغـرب ولكنها ظلت باقـية بعض الوقت فى الأندلس.

فعلى الرغم من أن أرض المغـرب قد زلزلت تحت أقدامهم إلا أنهـا لم تسقط بصورة حاسمة، فيـحيى بن غانية عامل الأندلس من قبل المرابطين حاول اسـترجاع المغرب رغم اشتعال الأندلس بالثورات التى كان عليه مواجهتها[١].

وكان السبب الظاهرى لدخول الموحـدين الأندلس هو مساعدة ابن قسى[٢] الثائر على المرابطين، ولكنهم فى الحقيقة كانت لهم أهداف أخرى وهى القضاء على الكيان المرابطى المتـثل فى يحيى بن غـانية حـيث كان يشكل خطراً على المـوحدين فى المـغرب، وذلك لتأييده للثورات التى أخـذت تنشب ضد الموحدين هناك[٣]، هذا بالإضافـة إلى أن نصارى أسبانيا أخذوا يوجهون ضرباتهم نحو المدن الأندلسـية ويستولون عليها تباعًا، يقول النويرى «وورد عليه ـ أى عـبد المؤمن بن على ـ جـماعة من أعـيان الأندلس منهم أبو جعـفر ابن أحمد محمد بن حمدين[٤] ومعهم مكتوب يتضمن بيعة أهل الأندلس لعبد المؤمن ودخولهم

(١) عنان: دولة الإسلام فى الأندلس: ص ٢٧٣.

(٢) «وهى ثانى ثورة اشتعلت فى الأندلس ضد المرابطين بعد ثورة قـرطبة سنة ٥١٥ هـ وكان يتزعمها شيخ من كبار الصوفية لذا تسمى أحـيانا «ثورة المريدين» وزعيم هذه الثورة يدعى أبا القاسم أحمد ابن الحسن بن قسى، وكـان ابن قسى هذا يحظى بمكانة مرموقة بـين الصوفية وكثر أتبـاعه بغرب الأندلس والذين عرضوا بالمرية وله مؤلفات منها كتـاب «خلع النعلين» وكثر أتباعه بمنطقة غرب الأندلس لا سيمـا شلب ولبلة ومرتلة، وكانوا يعـقدون الحلقات يتدارسـون فيها كـتب: التصوف وموضوعات الغلاة من الباطنية، كما كلفوا برسائل أخوان الصفا وما شابه ذلك من المباحث» ابن الخطيب: أعمال الاعلام، تاريخ أسبانيا الإسلامية، بيروت، دار الكشوف، الطبعة الثانية ١٩٥٦، تحقيق بروفنسال: ص ٢٤٩.

(٣) ابن خلدون: العـبـر جـ ٦ ص ٢٣٣ طبـعـة بولاق ١٢٨٤ هـ ص ٢٣٣ عنان: دولة الإسـلام فى الأندلس، عصر المرابطين ص ٢٧٣.

(٤) «وهو أحمد بن محمد بن أحمد التغلبى، دخل جدهم الأندلس ونزل باغة، ولى ابن حمدين قضاء قرطبـة بعد أخيـه سنة ٥٢٩ / ١١٣٤ م وظل يمارس القضـاء حتى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م وفى سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م عصفت فى قـرطبة رياح الثورة، إذ ثار العامـة ضد الوالى المرابطى أبى عمر اللمتونى، وبايعوا ابن حمدين: أميراً مستقـلاً عليهم وتمت البيعتان الخاصة والعامة بالمسجد الجامع بقـرطبة فى الخـامس من شهـر رمضان ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م أعلن ابن حـمدين عن قـيام حكومة فى قـرطبة مستقـلة عن أى سلطة وذلك عندما نزل قصر الخـلافة وتلقب أمير المـسلمين وناصر الدين» انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث ص ٢٥٢ ـ ص ٢٥٣.

فى زمرة أصحابه الموحدين والتزامهم لطاعته، وإقامتهم لأمره فى بلادهم وجميع أسماء القوم الذين بايعوه مثبتة فى المكتوب، فقبل عبد المؤمن طاعتهم، وشكر هجرتهم وطيب قلوبهم، فطلبوا منه النصرة على الفرنج فإن ا لفرنج كانوا قد ملكوا بلاد المسلمين»[١] هذا ولم يسارع عبد المؤمن بن على إلى إرسال الجيوش الموحدية إلى الأندلس فور اندلاع الثورة هناك (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) بل آثر تصفية حكم المرابطين نهائيًا فى المغرب، وكان وهو يراقب الثورات الأندلسية يتأهب للتدخل فى الأندلس ومن بين استعداداته لذلك الاستيلاء على سبتة وطنجة[٢]، لفتح الطريق أمام جيوشه إلى الأندلس، فجهز عبد المؤمن جيشا كثيفًا وجعل على مقدمته أبا عمر صالح من أية الخمسين[٣].

وقبيل تدفق الجيوش الموحدية على الأندلس، انضم إلى الجيش الموحدى أسطول المرابطين بقيادة «على بن عيسى بن ميمون»[٤] فعبروا إلى الأندلس ودخل الأسطول مدينة أشبيلية عن طريق البحر وحاصروها[٥] ولم يطل أمد الحصار إذ سقطت المدينة وفر من بها من المرابطين إلى قرمونة وذلك فى شعبان سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م[٦].

(١) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٠.

(٢) عبد الله علام: الدعوة الموحدية بالمغرب، القاهرة سنة ١٩٦٨ نشر دار المعارف بمصر، «عن استسلام سبتة وطنجة لعبد المؤمن بن على» انظر البيدق: أخبار المهدى ابن تومرت: ص ١٠٧، ص ١٠٨، نشر بروفنسال سنة ١٩٢٨ م ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: طبع أوبسالة ١٩٤٣ م.

(٣) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٠ «امتاز نظام الموحدين منذ ظهور المهدى، بارتكازه على (وحدات) معينة، تأخذ كل منها ترتيبًا خاصًا، والظاهر أن هذه الطبقات تزايدت وتنوعت بحسب الحاجة والزمن، وقد تعرضت جل مصادر التاريخ الموحدى لهذه الأصناف بما فى ذلك كتاب البيذق، المعجب للمراكشى والقرطاس ونظم الجمان، وكتاب العبر والحلل الموشية ورقم المحلل إلى آخر، إلا أن هذه المصادر تختلف قليلاً حول الترتيب المعروف لهذه الفئات وعددها ونوعها: فالبيذق مثلاً يكتفى بذكر (أهل الدار): دار المهدى، وأهل الخمسين الذين هم فى عداد صحابته الأولين من أهل القبائل التى سارعت إلى الاستجابة لدعوته هرغة وتنيمل وهنتاتة، كما يذكر عبيد المخزن والحفاظ وأهل الحرب، بينما تولى المراكشى: الحديث عن (العشرة) الذين يسمون بأهل الجماعة ثم طبقة أهل الخمسين الذين يسميهم ابن خلدون ايت الخمسين، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادى التارى: طبعة سنة ١٩٧٩ م الجمهورية العراقية ص ١١٢ ـ ص ١١٣ هامش رقم ٥.

(٤) النويرى: المصدر السابق: جـ ٢٤ نفس الصفحة.

(٥) النويرى: نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٦) السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٠٥، النويرى نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠١.

هذا ويلاحظ أنه لم يحدث حتى ذلك الوقت صدام عسكرى مباشر بين الموحدين وقوات المرابطين، فقد تمكن الموحدون من التوسع فى غرب الأندلس بينما انسحب يحيى ابن غانية من الميدان الغربى بعد وصول الموحدين إلى أشبيلية واندلاع ثورة ابن حمدين فى قرطبة[١] فرحل إلى قرطبة لاستعادتها من ابن حمدين، ودخل فى صراع مرير مع الثائر ابن حمدين انتهى بانتصار ابن غانية واستيلائه على قرطبة وذلك بعد أن تخلى النصارى عن مؤازرة ابن حمدين، وذلك لأنهم لما رأوا تقدم الجيوش الموحدية فى غرب الأندلس بدءوا بملاطفة يحيى بن غانية ومهادنته ليكون حاجزا بينهم وبين الموحدين، واستمر ابن غانية يصانع النصارى، ولكن ملك قشتالة اشتط فى مطالبه، فلم يكتف بتنازل ابن غانية عن بياسة وآبذة، بل طالبه بالتخلى عن جيان، أو مضاعفة الجزية، وقد شعر ابن غانية بالمهانة من ضغوط النصارى فعقد العزم على تسليم قرطبة وقرمونة للموحدين، واتصل برار بن محمد المسوفى وعرض عليه تسليم قرطبة وقرمونة فقبل ذلك وجاءه كتاب الأمان من عبد المؤمن بن على ثم رحل ابن غانية إلى غرناطة (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)[٢].

ورحل يحيى بن غانية إلى غرناطة وهى آخر ما بقى للمرابطين من القواعد فى الأندلس وكان واليها هو ميمون بن بدر اللمتونى وقد قصده جماعة من قادة المرابطين، ويذكر ابن أبى زرع أن يحيى بن غانية بعد أن سلم قرطبة وقرمونة للموحدين كان يرمى إلى

---

(١) «هو أحمد بن محمد بن أحمد التغلبى» دخل جدهم الأندلس ونزل باغة ولى أحمد بن حمدين قضاء قرطبة بعد أخيه سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م وظل يمارس القضاء وحتى سنة ٥٣٢ / ١١٣٧ م عصفت فى قرطبة رياح الثورة إذ ثار العامة ضد الوالى المرابطى ابى عمر اللمتونى، وبايعوا ابن حمدين أميراً مستقلاً عليهم وتمت البيعتان، الخاصة والعامة بالمسجد الجامع بقرطبة فى الخامس من شهر رمضان سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م وأعلن ابن حمدين عن قيام حكومة فى قرطبة مستقلة عن أى سلطة وذلك عندما نزل قصر الخلافة وتلقب أمير المسلمين وناصر الدين «انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام: قسم ٣ ص ٢٥٢ ـ ص ٢٥٤، عن ثورة ابن حمدين بقرطبة وصراعه مع ابن غانية انظر ابن الخطيب: الإحاطة فى ترجمة لابن غانية (مخطوط الاسكوريال لوحة ١٣٩٢، ابن الخطيب: أعمال ص ٢٥٤، الضبى: بغية الملتمس ص ٢٦١ F. Codera, Decadenciay Disparicion de los Aimoravides P. 61,

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩١ الرباط سنة ١٩٧٢، الناصرى السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ـ ١٠٥، ص ١٠٦.

تسليم غرناطة أيضًا[١]، ومعنى ذلك أنه دخل فى طاعة الموحدين وانضوى تحت لوائهم، وهذا ابن الخطيب يؤكد ثبات يحيى بن غانية على ولائه للمرابطين بل ونصحه قومه بالمحافظة على غرناطة، ويضيف أن يحيى بن غانية كان يقول فى مرض موته «الأندلس درقة وغرناطة قبضتها، فإذا جشمتم يا معشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم»[٢] وعلى كل سواء أبقى يحيى بن غانية على ولائه للمرابطين أم أنه أعلن ولاءه للموحدين، فقد مات بعد شهرين من دخوله غرناطة، وذلك فى الرابع والعشرين من شعبان سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م[٣]، ولم يبق للمرابطين سوى غرناطة وقد ظل قائد المرابطين يدافع عنها نحو سبع سنوات، لكن لما رأى الاستمرار فى حكم المدينة وجموع الموحدين تحيط به من كل ناحية وأن عناده قد يعرض المرابطين بها للفناء بعث إلى عبد المؤمن بن على يعرض عليه تسليم المدينة مقابل الأمان لنفسه وقومه[٤]، فاستجاب عبد المؤمن بن على وبعث ابنه أبا سعيد حاكم سبتة والجزيرة الخضراء لتسليم المدينة[٥]، يقول النويرى «وفى سنة اثنين وخمسين وخمسمائة، كاتب ميمون بن بدر صاحب غرناطة أبا سعيد بن عبد المؤمن صاحب مالقة والجزيرة الخضراء وسبتة أن يسلم إليه غرناطة، فتسلمها منه وسار إلى مالقة بأهله وولده، فسيره أبو سعيد إلى مراكش، فأقبل عليه عبد المؤمن وأكرمه[٦].

وتلا استيلاء الموحدين على غرناطة، استيلاؤهم على المرية[٧]، وكان النصارى قد

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩١، ابن خلدون: جـ ٦ ص ١٩٠، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٣٤٦.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٩٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: مخطوط الاسكوريال لوحة ٣٩٢.

(٤) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٩.

(٥) عنان: دولة الإسلام: فى الأندلس (عصر المرابطين القسم الأول) ص ٣٤٥.

(٦) النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٣٠٩.

(٧) منذ الزلاقة كانت المرية: مركز التجارة الأساسى فى الأندلس وبلغت فنادقها أيام المرابطين ٩٧٠ فندقًا وقد ساعد على هذا الازدهار التجارى أنها كانت مركزًا للأسطول المرابطى، ومنذ خربها الروم فى فترة الانتقال قلت أهميتها فى أوائل العصر الموحدى عن تجارتها وازدهارها انظر الإدريسى: نزهة المشتاق: (ط٠د) ص ١٩٨، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٦٣، جـ٣ ص ٢٢٠، ص ٥٧١ طبعة بيروت، وعن تخريب الروم =

انتهـزوا فرصة الاضطراب الـشامل الذى ساد الأندلس، عـقب انهيار سلطـان المرابطين، وجهزوا حمـلة صليبية برية وبحرية، اشتـركت فيها ممالك أسـبانيا النصرانية قشـتالة ونافار (نبرة) وأراجون وقطلونية، ومعهـا مطوعة من جنوة وبيزة وبعض حشود من وراء البرانس للاستيلاء على ثغر المرية، وحاصروا المرية بـرًا وبحرًا نحو ثلاثة أشهر، استولوا عليها فى شهر أكتوبر سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م[١] وكان الموحدون قد عبروا إلى الأندلس واستقروا فى قرطبـة يتوقون إلى اسـترداد هذا الثغـر الإسلامى العظيم، لأن وجـود النصارى فيـه يهدد مواصـلاتهم البحرية شرق بحـر الزقاق[٢]، فلمـا تم استـيلاؤهم على غـرناطة شعـروا بأن الفرصـة قد سنحت لتحقـيق هذا المشروع، يقـول النويرى «ولما ملك أبو سعيـد أغرناطة جمع الجيوش وسلم إليه مدينة المرية وهى بـيد الفرنج، وكانوا قد أخذوها فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ـ فنازلها وحاصـرها برًا وبحرًا ونزل عسكره على الجبل المشـرف عليها، وبنى سورها على الجبل إلى البحر وعمل عليها خندقًا، فصارت المدينة والحصن الذى فيه الفرنج مـحصورين بهـذا السور والجـبل لا يمكن أن يصل إليها من يجـندها، وجمع ملك الفـرنج بالأندلس الجيـوش وجـاء إليهـا فلم يتمكن مـنها ورجع ومـات قبل وصـوله إلى طليطلة، وتمـادى الحصار على المـرية ثلاثة أشهر، فـقلت الأقوات عن الفـرنج، فطلبوا الأمان، فأمنهم أبو سعيد وتسلم الحصن ورحلوا فى البحر عائدين إلى بلادهم.

وكانت مدة ملكهم المـرية عشر سنين[٣] وباستيلاء المـرابطين ومن بعدهم الموحدين

= لهـا انظر، ابـن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ٢٢٣ طبعة دار صادر بيروت، المراكشى: المعجب: ص ٢١٠، ص ٢١١ طبعة سنة ١٩٤٩ م ابن خلكان وفيات الأعيان: جـ ٣ ص ١٠٧، تحقيق إحسان عباس بيروت دار الثـقافة سنة ١٩٧٠، سنة ١٩٧٢، المقرى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٤٦١ طبعة بيروت، وابن عذارى: البيان المـغرب: جـ ٢ (القسم الموحدى) تحقيق هويتى ميران، ومـحمد بن تاويت، إبراهيم الكتـانى، معهد مـولاى الحسن ١٩٦٠ ص ٣٣، الإدريسى: المصدر السابق: ص ١٩٨.

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ١١ ص ٢٢٣، المراكـشى: المعجب، ص ٢١٠، ص ٢١١، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٣، ص ١٠٧، ابن عذارى: البيان المغرب: قسم ٣ ص ٣٣، ص ٣٤.

(٢) عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين، ص ٣٤٦.

(٣) النويرى: نهاية الأرب ص ٣٠٩ ـ ص ٣١٠ «تذكـر الرواية النصرانية أنه نشـبت خلال ذلك بين الموحدين والنصارى موقعة عنيفة، فقد فيها الموحدون كثيرًا من جندهم» انظر.

La Fuente: Historia genenal de Espana (E.d. 1891).

على بلاد الأندلس كما سبق أن ذكرنا أصبحت بلاد الأندلس ولاية مرابطية ثم موحدية تتبع حكومة المرابطين ومن بعدهم الموحـدين فى بلاد المغرب، إذ بادر المرابطون وخلفاؤهم بإرسال نائب عنهم بها كـما أرسلوا عمالاً لأقاليم الأندلس المختـلفة، ومن ثم شهدت بلاد الأندلس تقسيما إداريًا مختلفًا استمر طوال حكم المرابطين ثم الموحدين من بعدهم، فكان ينوب عن أمير المسلمين فى حكم الأندلس أمير من الأسرة الحاكمة أو من لمتونة عامة[١]، ومن هؤلاء النواب على بن يوسف وتاشفين بن على وإبراهيم بن تاشفين وسير بن أبى بكر وأبو الطاهر تميم بن يوسف وعبد الله ابن فاطمة وعبد الله بن مزدلى[٢].

ويبدو أن الوظيفة الأساسية للنائب العام فى الأندلس هى قيادة الجيوش الإسلامية لأننا رأينا سيـر ابن أبى بكر الذى أنابه يوسف بن تاشفين هـو الذى استنزل ملوك الطوائف[٣]، وكذلك بالنسبة لتميم بن يوسف الذى كان قائدًا للجيوش الإسلامية من سنة ٥١٥هـ- ٥٢١ ـ (١١٢١م ـ ١١٢٦م) الذى انتصـر فى معـركة أقليش وكانت غـرناطة قاعـدة لغزواته[٤]، وكذلك تاشفـين بن على الذى تولى حكم الأندلس من سنة ٥٢٠هـ ـ ٥٣٢[٥] (١١٢٦م ـ ١١٣٧م) لم تكد تمر عليـه سنة من غير شن غزوة أو رد غـارة فهو فى جهـاد متواصل مع الممالك النصرانية[٦].

أما عن علاقة النائب العام بعمال الأقاليم فلا تذكر المصادر التاريخية شيئًا يكفى لمعرفة طبيعة هذه العلاقـة، ويبدو أن عمال الإقليم كانوا يتصلون بأمير المسلميـن مباشرة فى أكثر الأحيان، فإذا كانت هناك غـزوة مهمة أوكل أمير المسلمين أمـرها إلى أحد هؤلاء العمال، فيصبح بـمثابة نائب عام أو قائدًا للجيش ثم يتـصل أمير المسلمين بعمـال الأقاليم ويأمرهم

---

(١) يذكر ابن خلدون أن يوسف بن تاشفين قسم المغـرب على بنيه وقومه وذويه « ابن خلدون: العبر جـ ٦ ص ١٨٥، ص ١٨٦ عن ذلك انظر أيضًا مجهول: الحلل الموشية: ص ٣٣.

(٢) عن هؤلاء النواب انظر ابن عـذارى: البيان المـغرب: ص ٥٥، ص ٥٧، ص ٥٨، ص ٥٩، ص ٦١، ص ٦٤، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٢.

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٥٤ الرباط سنة ١٩٧٢ م.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤، ص ٤٩، ص ٥٠.

(٥) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٦٤.

(٦) السلاوى: الاستقصا: جـ٢ ص ٦١.

بالانضواء تحت لواء قائد الجيش[١] إلا أن هناك فترات ذكرت بعض المصادر أنه ولى الأندلس نائب عام عن أمير المسلمين، فهذه الفترة الممتدة من ٥١٥هـ ـ ٥٢٠هـ تولى تميم بن يوسف، والفترة من سنة ٥٢٠هـ ـ سنة ٥٣٢هـ[٢] تولى فيها تاشفين بن على وكانت سلطة النائب العام سياسية عسكرية تكاد تكون مطلقة، تتضح هذه السلطة من وثيقة عبارة عن رسالة من أمير المسلمين على بن يوسف إلى رعيته الأندلسيين، فهى تلقى مزيداً من الضوء على نظام الحكم فى الأندلس فى عهد المرابطين وتشير إلى أنه يميل كثيراً إلى اللامركزية، فأمير المسلمين يقول عن واليه «وهو النائب عنا فى تدبيركم وإقامة أموركم وسياسة صغيركم وكبيركم، ليس لأحد معه فى شىء من ذلك يد... قد فوضنا فى ذلك كله... وهو بلساننا متكلم وعما فى ضميرنا مترجم وفى قالب رأينا مفرغ... ما أمضاه أمضيناه وما وقفه وقفناه[٣]... ورسالة أخرى بعث بها على بن يوسف إلى بعض رعاياه الأندلسيين فيها وصايا للشعب، وتعطى صورة واضحة للسلطات الممنوحة للنائب العام وعباراتها قريبة من الرسالة السابقة: «وهو النائب عنا فى تدبيركم وإقامة أموركم وسياسة صغيركم وكبيركم، وليس لأحد معه فى ذلك يد ولا مصدر ولا مورد ولا مقام ولا مقعد، قد فوضنا فى ذلك كله وأفردناه النظر، فى دقة وجلة وكثرة وقلة وحكمناه فى جميعكم... ولا نرى فى أحد منكم إلا ما يراه، ولا نتولاه ـ كائنا من كان ـ إلا أن يتولاه»[٤].

وهكذا نرى أن المرابطين قد منحوا نائبهم على الأندلس سلطة واسعة ليست لها حدود، وقد قارب الحقيقة حسن أحمد محمود حين قال: لقد درج المرابطون على نوع

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٣.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٤.

(٣) محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة فى عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، المجلد السابع، العدد: ١ ـ٢، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ص ١٩٧٥، انظر نص الرسالة بالكامل فى قسم الملاحق، لم تحدد هذه الوثيقة ـ السنة التى كتب فيها ولا الوالى المذكور ولكن يمكن تحديد تاريخ الوثيقة حيث تولى على بن يوسف وبين تاريخ وفاة كاتب الرسالة، ابن القصيرة ٥٠٥ هـ ـ ٥٠٨ هـ.

(٤) محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة ص ١٧٦، انظر نص الوثيقة بالكامل فى ملاحق الرسالة.

من الحكم الإقطاعى حيث يتولى أمير من الأمراء على إقليم يكون له مطلق التصرف فيه على أن لا ينازع صاحب السيادة حقه وأن يلتزم بالخضوع والتبعية للحكومة المركزية فى المغرب[١].

وكان النائب العام يتخذ من قرطبة أو أشبيلية أو غرناطة مقرّا له[٢] ويعلل الدكتور حسين مؤنس ذلك بقوله «بالنسبة لقرطبة فإنها كانت عاصمة الأندلس وواسطة عقد البلاد أما غرناطة فهى أوفق للمرابطين لأن معظم أهلها من بربر أفريقية، ثم أنها أقرب إلى شرق الأندلس وإلى أفريقية مركز الإمداد والتموين[٣].

وكانت الأندلس أيام المرابطين تضم ست مقاطعات: هى أشبيلية[٤] وغرناطة[٥] وقرطبة[٦] وبلنسية[٧] وسرقسطة[٨] ومرسية[٩] وقد تولى على قرطبة أبو عبد الله محمد بن الحاج إلى سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م وأبو عبد الله محمد بن أبى زنفى، وأبو محمد تاشفين ابن سليمان وأبو محمد مزدلى بن سلكان، من سنة ٥٠٥هـ (١١١١م) إلى ٥٠٨ (١١١٤) ومحمد بن مزدلى ٥٠٨هـ (١١١٤م) إلى ٥٠٩هـ (١١١٥م) وأبو عبد الله بن نونان وأبو زكريا يحيى بن تاشفين من سنة ٥٠٩هـ/ (١١١٥م) وأبو عبد الله المعروف بابن عواد وأبو محمد عبد الله بن جنونة[١٠].

---

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٢٨٧.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤، ص ٤٨، ص ٤٩، وما بعدها.

(٣) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلس فى عصر المرابطين مجلة كلية الآداب ـ جامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة) مجلد ١١ جـ ٢ سنة ١٩٤٩ م ص ٣٥١.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٤٨، ص ٦١، ص ٨١، ص ١٠٥، ابن القطان: نظم الجمان ص ٨، ص ٩، ص ١٢، ص ٢٢، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٠، ص ١٦٣، امبروسيو هويسى ميراندا: على بن يوسف وأعماله فى الأندلس ص ١٦٧.

(٥) مجهول: نبذه تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من كتاب مفاخر البربر تحقيق ليفى بروفنسال المطبعة الجديدة رباط الفتح سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م ص ٨١، ص ٢٨ ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤، ص ٤٨ وما بعدها، مجهول: المصدر السابق: ص ٨١.

(٦) مجهول: نفس المصدر: ص ٨٢.

(٧) مجهول نفس المصدر ص ٨٢.

(٨) مجهول: نفس المصدر والصفحة: ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٢.

(٩) مجهول: نفس المصدر: ص ٨٢.

(١٠) مجهول: نبذة تاريخية (مفاخر البربر) ص ٨١.

أما غرناطة فقد تولى عليها أبو محمد عبد العزيز بن يليمان ويحيى بن واسينو والأمير مزدلى بن سلنكان من ٥٠٥هـ[١] (١١١١م) إلى ٥٠٨هـ (١١١٤م)[٢] وأبو بكر على بن يوسف، وتاشفين بن على بن يوسف[٣] والزبير بن عمر وسيرين الحاج[٤]، أما المرية، فقد تولاها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين، وإبراهيم بن عائشة وأبو بكر بن تيفوليت وأبو عبد الله بن ينيتان بن على وأبو عبد الله بدر بن ورقاء وإبراهيم تاعيشت، وأبو زكريا يحيى بن غانية[٥] من (٥١١هـ/ ١١١٧م إلى ٥٣٨هـ ١١٤٣م) أما سرقسطة فقد تولاها أبو عبد الله محمد بن الحاج من (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م إلى ٥٠٩هـ ١١١٥م) وأبو بكر بن إبراهيم بن تيفلويت[٦] وعبد الله بن مزدلى[٧] من ٥١١هـ/ ١١١٧م إلى (٥١٢هـ/ ١١١٨م) أما بلنسية فقد تولى عليها مزدلى بن سلنكان إلى (٤٩٧هـ/ ١١٠٣م) وعبد الله ابن فاطمة من (٤٩٧هـ/ ١١٠٣م إلى ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م)[٨] وعبد بن الحاج من (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م)[٩] وأبو بكر بن تيفوليت وأبو الطاهر تميم بن يوسف وإبراهيم بن تاعشيت وأبو زكريا يحيى بن تاسورة وبدر بن ورقاء، وأبو يعقوب بن يتتان بن على من (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) وأبو زكريا يحيى بن على[١٠] من (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م/ ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) أما أشبيلية فقد وليها سير بن أبى بكر من (٤٨٤هـ[١١]/ ١١١٣م إلى ٥٠٨هـ/ ١١١٣م)[١٢] ويحيى بن سير بن أبى بكر من (٥٠٧هـ/ ١١٣م إلى ٥٠٨هـ/ ١١١٤م)

(١) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٥٦.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٦٠ «كان أبو محمد مزدلى بن سلنكان من أكابر المرابطين وهو ابن عم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وله جهود كبيرة فى الدور الأول من التاريخ المرابطى» انظر ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٦٠ هامش رقم ١.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٧٩.

(٤) مجهول: المصدر السابق: ص ٨٢.

(٥) مجهول: نبذة تاريخية (مفاخر البربر) ص ٨٢.

(٦) مجهول: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٢.

(٨) ابن عذارى: البيان المغرب: ص ٤٢، ص ٥٤.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق ص ٢٨.

(١٠) مجهول: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(١١) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٥٦.

(١٢) مجهول: الحلل الموشية: من ص ٧٣ ـ ص ٧٥.

وعبد الله ابن فاطمة من (٥٠٩هـ/ ١١١٥م إلى ٥١١هـ/ ١١١٤م) وعبد الله ابن فاطمة من ٥٠٩هـ/ ١١١٥م إلى ٥١١هـ/ ١١١٧م[١] وإبراهيم بن يوسف من (٥١١هـ/ ١١١٧م إلى ٥١٦هـ/ ١١٢٢م) ثم وليها الأمير تميم بن يوسف[٢] من (٥١٦هـ/ ١١٢٢م إلى ٥١٧هـ/ ١١٢٣م) ثم الأمير أبو بكر على بن يوسف (٥١٨هـ/ ١١٢٤م إلى ٥٢٢هـ/ ١٨٢٨م)[٣] ثم وليها على التوالى عمر بن سير من (٥٢٢هـ/ ١١٢٨م) من شعبان إلى ذى الحجة ثم ابن مقوز (٥٢٣هـ/ ١١٢٨م إلى ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م إلى ٥٢٦هـ/ ١١٣١م) ثم وليها عبد الله بن أبى بكر بن تاشفين (٥٢٦هـ/ ١١٣١م إلى ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م) ثم ينتان بن على (٥٢٧هـ/ ١١٣٢م إلى ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) ثم أبو زكريا يحيى بن إسحاق (٥٢٩هـ/ ١١٣٤ إلى ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) وأخيرا أبو زكريا بن مزدلى (٥٣٩/ ١١١٤م إلى ٥٤١هـ ١١٤٦م) وهى السنة التى سقطت فيها المدينة فى أيدى الموحدين[٤].

هذا ويلاحظ على ولاة وعمال المرابطين فى الأندلس عدم بقائهم فى مراكزهم فترات طويلة، فقد شملتهم السياسة المرابطية المتبعة لدى أمراء المسلمين، وهى نقل أو عزل الولاة على فترات متقاربة، أما سياسة نقل الوالى من إقليم إلى آخر فهى تلاحظ بكثرة ووضوح فى جميع أقاليم الدولة، ولعل هذه السياسة توحى بخوف أمراء المسلمين من استبداد الولاة بأقاليمهم والانفصال عن الحكومة المركزية فها هو الأمير أبو محمد مزدلى ابن سلنكان ترجون ابن عم يوسف بن تاشفين وأحد كبار قواده يتقلب فى مختلف مناصب القيادة والولاية فى الأندلس مثل ولايات غرناطة وقرطبة والمرية[٥] وكذلك أبو محمد عبد الله ابن فاطمة يتولى ولاية بلنسية سنة ٤٩٧هـ (١١٠٤م) وفى سنة ٥٠٣هـ (١١١٠م) نقل إلى غرناطة ولم يمكث فى غرناطة أكثر من عام نقل بعدها عاملاً على فاس بالمغرب سنة

(١) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٦.

(٢) ابن عذارى: نفس المصدر جـ ٤ ص ٦٧.

(٣) ابن عذارى: نفس المصدر جـ ٤ ص ٦٧.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ١٠٥ «حاولت أن أحدد بداية ونهاية فترة كل والٍ من ولاة الأندلس، ولكن المصادر التاريخية لم تسعفنى إلا بالنذر القليل عثرت عليه فى ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٢، ص ٤٨، ص ٤٩، ص ٥٤، ص ٥٦، ص ٦٠، ص ٦٢، ص ٦٧، ص ٧٩، ص ١٠٥.

(٥) ابن الكردبوس: الاكتفاء فى أخبار الخلفاء: تحقيق أحمد مختار العبادى ص ١٠٩ تعليق ٤ معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٧١ م.

٥٠٤هـ (١١١٠م) ثم عاد إلى الأندلس عاملاً على أشبيلية[١] وذلك فى سنة ٥٠٩ هـ (١١١٥م) واستمر فى حكمها حتى توفى سنة ٥١١هـ (١١١٧م)[٢] أما الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين فقد تولى حكم غرناطة سنة ٥٠٠هـ (١١٠٦م) من بعد ثلاث سنوات (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م) نقل إلى تلمسان بالمغرب الأوسط ثم عاد إلى الأندلس واليًا على غرناطة (٥١٥هـ/ ١١١٦م) وفى عام ٥١٦هـ (١٠٢٢م) نقل إلى أشبيلية فاستمر فى حكمها سنة وبضعة أشهر ثم نقل عاملاً على قرطبة وغرناطة[٣]، هذا وقد كانت البلاد الأندلسية تعتبر خلال العصر الموحدى، مثلما كانت عليه فى العهد المرابطى قطرًا من أقطار الدولة الموحدية، وكانت تنقسم إلى عدة ولايات أو عمالات: هى ولاية الغرب (شلبى وأحوازها[٤] بالإضافة إلى شنترين وأشبيلية وأحوازها[٥] وقرطبة وأحوازها[٦] وجيان[٧] وأحوازها وغرناطة وأحوازها وتشتمل على وادى آش وبسطة والمنكب، والمرية وأحوازها[٨] وبلنسية والجزيرة[٩] والجزائر الشرقية قبل أن يستقل بها بنو غانية[١٠] ومرسية وأعمالها[١١].

---

(١) ابن الكردبوس: المصدر السابق ص ١١٢ تعليق ٢.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ٨ تعليق ٢.

(٣) ابن الكردبوس: المصدر السابق: ص١١٤ تعليق ١ ابن القطان: نظم الجمان ص ٩ تعليق (١).

(٤) ابن ابى زرع: الأنيس المطرب: طبعة أوبسالة ص ١٩٥، ص ١٩٨، ص ٢١٤، انظر عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين قسم ٢ ص ٦٤١.

(٥) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة: ص ٣٠١، ص ٣٠٤، تحقيق عبد الهادى التازى الجمهورية العراقية (سلسلة كتب التراث) سنة ١٩٧٩، النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠١، السلاوى: الاستقصا جـ٢ ص ١٣١ «كان فتح أشبيلية وأحوازها وقرطبة وغرناطة على يد الشيخ أبى حفص عمر من أهل جماعة (الخمسين) انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٦٢، ص ٢٨٢، ص ٢٩٣.

(٦) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ٣٠٣، ابن ابى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩١، المراكشى: المعجب: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٠، تحقيق حسين نصار.

(٨) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٣٠٤ (عن غرناطة وأعمالها انظر ص ١٤ من الرسالة، الاستقصا جـ ٢ ص ١١١ طبعة سنة ١٩٥٢، المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣ ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩٦.

(٩) النويرى: المصدر السابق ص ٣٠٩ (كانت مالقة أحيانًا تضم إلى الجزيرة الخضراء) انظر المصدر السابق نفس الصفحة.

(١٠) النويرى: المصدر السابق: ص ٣٠٩.

(١١) المراكشى: المصدر السابق: ص ٣٢١، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٣٨.

وقد سار الموحدون على نفس الخط الذى اتبعه أسلافهم المرابطون فى تولية أبناء الخلفاء وأقاربهم فى حكم أقاليم الدولة، غير أن هذا الإجراء سبقه تدبير من جانب الخليفة، فقد استعان الخليفة عبد المؤمن بن على فى بداية الأمر بأشياخ الموحدين من أصحاب المهدى والذين ينتمون إلى طبقات الموحدين فى ولاية أقاليم الدولة[١] وفى ذلك يذكر النويرى «ولقد سلك عبد المؤمن فى استعمالهم (أى أبنائه) من حسن السياسة وجميل التدبير طريقًا عجيبًا يستدل به على جودة رأيه، وتوصله إلى المشهورين من أصحاب المهدى، فكان يتعذر عليه أن يعزلهم»[٢]، فأنشأ مدرسة فى عاصمة مراكش ألحق فيها أبناءه وجمع فيها ثلاثة آلاف من قبائل المصامدة وغيرها من القبائل وزودهم بمختلف العلوم مع تعليمهم إدارة شئون البلاد وتدريبهم على فنون الحرب والقتال[٣]، حتى إذا أتم هؤلاء الطلبة الحفَّاظ دراستهم المتنوعة، بدأ عبد المؤمن الخطوة التالية فى إحلال هؤلاء الطلبة فى أماكن شيوخ الموحدين فى تولى السلطة على أقاليم الدولة[٤]، مستندا فى ذلك إلى كفاءة هؤلاء الطلبة فى حمل مسئولية إدارة الأقاليم قائلاً لأشياخ الموحدين «إنى أريد أن تكونوا عندى أستعين بكم على ما أنا بصدده وتكون أولادكم فى أعمالكم»[٥].

وقد قابل أشياخ الموحدين هذا الإجراء بالموافقة وذلك لأن أبناءهم كانوا ضمن هؤلاء الطلبة[٦]، ثم اتخذ بعد ذلك الخطوة التى كان يرمى إليها وهى تولية أبنائه أقاليم الدولية وذلك حين دس بين أشياخ الموحدين من يلومهم على استمرار أبنائهم فى رئاسة ولايات الدولة وبقاء أبناء الخليفة بعيدين عنها، وما فى ذلك من أثر سيئ فى نفس الخليفة[٧]،

(١) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٣، مخطوط، النويرى: المصدر السابق ص ٣٠٨.

(٢) النويرى: المصدر السابق جـ ٢٤ ص ٣٠٨.

(٣) النويرى: نفس المصدر: جـ ٢٢ ص ٩٣ مخطوط، النويرى: نفس المصدر جـ ٢٤ ورقة ٣٠٨.

(2) J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim, p. 107

انظر أيضا، الجيلالى: تاريخ الجزائر العام جـ ٢ ص ٢٩٥، أشياخ: تاريخ الأندلس جـ ٢ ص ٥١، ص ٥٢.

(٤) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٨، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس: (عصر المرابطين والموحدين) القسم الأول: ص ٤٠٣.

(٥) النويرى: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة.

(٦) النويرى: نفس المصدر: والجزء والصفحة، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ٥١.

(٧) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٨.

«فاستعمل أولادهم ثم وضع عليهم من يعتمد عليه منهم فقال لهم: إنى أرى أمرًا عظيما قد فعلتموه فارقتم فيه الحزم والأدب» فقالوا ما هو؟ قال: أولادكم فى الأعمال وأولاد أمير المسلمين ليس إليهم شيء منها مع ما هم فيه من العلم وحسن السياسة[١]، ومن ثم أسرع الأشياخ وألحوا على عبد المؤمن فى تعيين أبنائه وهو يتظاهر بالرفض، حتى أذعن فى نهاية الأمر لمطالبهم وعين أبناءه مكانهم[٢].

وهكذا استطاع عبد المؤمن بذكائه وحسن تدبيره تولية أبنائه وأقاربه أقاليم دولته المترامية الأطراف فولّى غرناطة وأعمالها ابنه عثمان بن عبد المؤمن ويكنى بأبى سعيد وكان من نبهاء أولاده ونجبائهم[٣] كما ولّى مدينة أشبيلية وأعمالها ابنه يوسف بن عبد المؤمن[٤].

وكانت مدينة أشبيلية مركز الحكومة الموحدية بالأندلس كما كان لكل ولاية أندلسية حكومتها المحلية، تضم إلى جانب الوالى الموحدى الوزير والكاتب وصاحب العمل والمشرف على الجباية هذا بالإضافة إلى المناصب الدينية من القضاء والشورى والخطبة والشرطة والحسبة التى كانت غالبًا تسند إلى أهل الأندلس وكان بعض السادة من أبناء الخليفة أو إخوته يستخدمون فى حكوماتهم المحلية أكابر كتاب الأندلس، فنرى مثلاً السيد أبا سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن، حين تولى إقليم غرناطة يستخدم للكتابة الكاتب والشاعر الكبير أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى[٥]، وكان هؤلاء العمال أو الولاة يسيرون وفق السياسة التى يرسمها لهم الخليفة الموحدى ويستدل على ذلك من الرسالة الصادرة من الخليفة عبد المؤمن بن على والموجهة لولاة أقاليم الأندلس لتكون دستورًا لهم ولغيرهم من ولاة الأقاليم وقد صدرت هذه الرسالة من تينمل أثناء زيارة الخليفة الموحدى عبد المؤمن ابن على قبر المهدى فى سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨)[٦].

(١) النويرى: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة، ابن الاثير: الكامل جـ ٩ ص ٥١.

(٢) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٩، ابن الأثير: الكامل: جـ ٩ ص ٥١.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣.

(٤) المراكشى: المصدر السابق، نفس الصفحة «وهو الذى ولى الأمور بعد أبيه» المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٢٢٤ ط ١٩٥٦، ط ١٩٧٣، ص ٢١٧.

(٦) ابن القطان: نظم الجمان، تحقيق محمود على مكى: ص ١٥٠ ـ ص ١٦٧ أنظر نص الرسالة فى ملاحق الرسالة.

وقد تضمنت تلك الرسالة الأسس التى يجب أن يسير عليها ولاة الأقاليم فى حكم أقاليمهم وهذه الأسس هى، وجوب التزام الدقة فى تطبيق الأحكام الشرعية والكف عن اقتضاء أية مغارم أو مكوس لا تبيحها الشريعة[١] «وقد ذكر لنا فى أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسى وغيرها ما رأيناه أنه أعظم الكبائر جرمًا وإفكًا وأدناها إلى من تولاها دمارًا وهلكًا»[٢] وكان لا يجوز تنفيذ حكم الإعدام قبل الرجوع إلى الخليفة ليصدر هو قراره فى هذا الشأن[٣].

وأنه يجب تحريم الخمر ومطاردتها فى سائر أنحاء الدولة[٤]، كذلك يجب حماية الأموال وخاصة أموال الدولة وصونها وعدم التصرف فيها[٥].

وقد جرى الخلفاء الموحدون على سنة أسلافهم الأمراء المرابطين من نقل الولاة إما خوفًا من استبداد هؤلاء العمال واستقلالهم بمناطقهم، أو بسبب تغير القيادة العليا فى البلاد وذلك بالوفاة وتولى آخر، وهذا ما حدث فى الدولة الموحدية، فقد عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى تغيير الولاة فى مدن الأندلس فأجرى بعض التعديلات كان بموجبها أن تولى أبناؤه الأربعة أقاليم الأندلس[٦]، يقول ابن عذارى: «وفى يوم الجمعة الحادى والعشرين من شعبان سنة ٥٧٩هـ ولى أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بنيه الأربعين على قواعد بلاد الأندلس، صرف أبا إسحاق إلى أشبيلية[٧] واليا عليها كما كان أولاً، وولى أبا يحيى قرطبة برغبة أبى الوليد بن رشد وولى أبا الحرضانى غرناطة وولى أبا عبد الله مدينة[٨] مرسية».

وهكذا كانت أقاليم الأندلس خاضعة للحكومة المرابطية ثم الموحدية وفق سياسة

---

(١) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٥٦.
(٢) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٥٦.
(٣) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٥٩.
(٤) ابن القطان: نفس المصدر: ١٦١.
(٥) نفس المصدر: ١٦٧.
(٦) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٥٥ تطوان القسم الموحدى.
(٧) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٣٠١، ص ٣٠٢، ص ٣٠٣.
(٨) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٥٥ طبعة تطوان.

منظمة، ومنذ عهد المرابطين وخلال عصر الموحدين ازدهر إقليم غرناطة كثيراً ونما نموّا سريعا ولهذا له أهميه كبيرة بين أقاليم الأندلس وبرزت سماتة الخاصة وسوف يتضح لك فى الصفحات التالية.

المدينة الرئيسية: غرناطة:

الأرباض:

غرناطة مدينة مستديرة الشكل تقع على سفح جبل شلير[١]، وتمتد على ضفتى وادى شنيل ويشقها وادى حدرة وهو فرع من شنيل[٢]، ويذكر المؤرخ توروس بلباس غرناطة بأنها امتازت ـ شأنها شأن باقى المدن الأسبانية الإسلامية ـ بشوارعها الضيقة وميادينها القليلة الصغيرة[٣]، واحتوت على أربعة أرباض كبرى هى: ربض الفخارين وربض الأجل[٤] وهو كثير القصور والبساتين[٥] ويقع هذان الربضان على نهر شنيل[٦] وربض الرملة[٧] وهو فى جنوب المدينة وربض البيازين[٨] وهو أكبر أرباض غرناطة ويقع فى شرق

---

(١) العمرى: مسالك الأبصار: (وصف أفريقية) ص ٣٤ القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٥ ابن الخطيب: اللمحة البدرية: فى الدولة النصرية: ص ٢٣، الإحاطة جـ ١ ص ٩٦ سبق الإشارة إلى جبل شلير.

(٢) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، جـ ٢ ص ١٠٣، ص ١٠٥، العمرى: المصدر السابق نفس الصفحة، القلقشندى: المصدر السابق: جـ ٥، نفس الصفحة، ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٣، الإحاطة جـ ١ ص ٩٦.

(٣) توروس بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية مجلة معهد الدراسات الإسلامية: مدريد، العدد الأول، السنة الأولى ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣، ص ٩٧.

(٤) العمرى: المصدر السابق: ص ٤١، القلقشندى: نفس المصدر: جـ ٥ ص ٢١٤.

(٥) العمرى: نفس المصدر: ص ٤١، القلقشندى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٤.

(٦) العمرى (وصف أفريقية) ص ٤١.

(٧) العمرى: المصدر السابق، نفس الصفحة، «ويقع هذا الربض بحوار باب الرملة فى جنوب المدينة: انظر المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٨) العمرى: المصدر السابق، نفس الصفحة، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٤، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٣٨٧ «كان ربض البياذين أهم أحياء غرناطة الإسلامية وما زال يقوم بها إلى الآن وهو يقع فى شمالها الشرقى فى مواجهة هضبة الحمراء، ابن الخطيب: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة هامش ١.

المدينة وفى هذا الربض ثلاثة أبواب ما زالت قائمة إلى الآن وهى: باب البيازين وباب فحص اللوز وباب الزيادة[١]، وفى ربض البيازين هذا كان يوجد مسجد غرناطة الجامع ومسجد المرابطين وهو من أقدم مساجد غرناطة[٢] وتميز هذا الربض بشوارعه الضيقة المتقاطعة وكثرة عمائره إذ يذكر العمرى أن هذا الربض كان كثير العمارة، مستقل بقضاته وحكامه[٣].

وضمت غرناطة بالإضافة إلى هذه الأرباض أرباضا أخرى أصغر مثل: ربض اليهود[٤]، الذى هو أصل غرناطة[٥] ويذكر عنان أن هذا الربض يقع بجوار الفخارين فى شرق المدينة[٦]، وربض المظفر فى قصبة[٧] غرناطة القديمة، أما ربض باديس وربض المرابطين فيقعان داخل قصبة غرناطة الجديدة، كما يوجد داخل ربض البيازين ثلاثة أرباض وهى ربض البيضاء، وربض الشارع وربض آسف، أما ربض زناتة فيقع بالقرب من باب سيدة أو الأسد[٨].

الأسوار والأبواب:

وأول ما تلحظه فى غرناطة الأسوار التى كانت تحيط بالمدينة وقد أشار ابن الخطيب إلى تلك الأسوار فى وصفه لغرناطة بقوله «ويحف بسور هذه المدينة المعصومة بدفاع الله

(١) انظر خريطة المستشرق: سيكودى لوثينا: عن غرناطة فى ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٥، انظر عنان الآثار الأندلسية الباقية ص ١٦٨.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٣٧، ص ١٧٢، ص ٤٦٥، ص ٥٦٦، انظر عنان: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) العمرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، عنان: الآثار الإندلسية الباقية ص ١٦٨.

(٥) الحميرى: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٦) عنان: الآثار الأندلسية: ص ١٦٨، انظر موقع هذه الأرباض فى خريطة سيكو دى لوثينا: عن غرناطة الإسلامية ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٥.

(٧) القصبة أى القلعة: وهو استعمال إندلسى ذائع، وكانت القصبة الأندلسية تضم فى معظم الأحيان قصراً للحاكم ومسجداً للصلاة وثكنات للجند ويوجد حتى اليوم كثير من أطلال القصبات الأندلسية القديمة.

(٨) انظر مواقع هذه الأرباض فى خريطة سيكو دى لوثينا: فى ملاحق الرسالة.

تعالى، البساتين العريضة المستخلصة، والأرواح المتلفة فيصير سورها من خلف ذلك كأنه سيد دون سياج كثيفة. . .»[١].

ومنذ دخلت غرناطة فى طاعة المرابطين ومن بعدهم الموحدين، حرصوا على بناء الأسوار حول المدن الهامة فنالت غرناطة والمرية اهتمامهم فى هذه الناحية، وكذلك بعض المدن الأخرى[٢] وقد شيدت هذه الأسوار بملاط[٣] من مواد شديدة الصلابة، ويذكر مورينو أن أبراج هذه الأسوار قد دعمت بأبراج حصينة مربعة الشكل أو مستديرة الشكل، موزعة على مسافات غير متساوية وكانت قليلة البروز وما زالت محتفظة ببعض شرفاتها ومنافذ السهام[٤].

الأبواب:

وكان للمدينة ثلاثة عشر باباً[٥] هما باب البيرة وهو أضخم أبواب غرناطة ويقع فى

(١) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١١٥، اللمحة البدرية ص ٢٤.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٧٤ «فرض المرابطون على أهل الأندلس ضريبة سميت بالتعتيب وذلك لبناء أسوار المدن الأندلسية وتجديدها، وكانت غرناطة ضمن المدن التى اهتم المرابطون بتجديد أسوارها حيث» عمد واليها من قبل الأمير على بن يوسف بن تاشفين إلى تعتيب غرناطة وفرض المعتب أتاوة الدار على سائر أهلها واشتد فى تحصيل المال فأصلحت الأسوار فى أقرب وقت انظر ابن عذارى: المصدر السابق، جـ ٤ ص ٧٧، ص ٨٥، كما تولى إصلاح أسوار المرية رجل من أهلها يسمى ابن العجمى: ولكنه استعمل الحزم والرأفة والرفق معًا فأبدى الناس إقبالاً على أداء الأتاوة انظر ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ نفس الصفحات، عن اهتمام المرابطين ببناء الأسوار انظر ابن القطان: نظم ابن القطان: نظم الجمان ص ١٩١ سيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور ص ١٣٥.

(٣) «مزيج من الجير والرمل وقطع الحجارة الصغيرة (الدبيسة) وقد ذكر هذا الملاط فى كتاب ابن القوطية تحت اسم الآشة ماشة وهى تسمية لاتينية وورد ذكره فى بعض كتب التاريخ الأندلسى باسم طابية، ويعرف هذا الملاط فى العصر الحديث باسم المونة، انظر شرح الاصطلاح فى الفن الإسلامى فى أسبانيا لمورينو ص ٤٩٠، تميزت أسوار المرابطين بأنها كثيرة الزوايا الداخلية والخارجية حيث يتخذ السور شكلاً متعرجا يساعد المدافعين على الفتك بأعدائهم، سيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور.

(٤) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا، ص ٣٠٢، ص ٣٠٥ ترجمة لطفى عبد البديع وعبد العزيز سالم لجنة ـ التأليف والترجمة.

(٥) العمرى: وصف أفريقية: ص ٤٠.

الجهة الشمالية من المدينة[١] وقد بقى هيكله كاملاً ويرتفع هذا الباب نحو اثنى عشر مترًا، وليست عليه أية كتابة أو نقوش عربية[٢]، وكان هذا الباب يخرج إلى مدينة البيرة وبها اشتهر[٣] هذا بالإضافة إلى باب الكحل والرخاء وباب المرضى وباب المصرع[٤] وباب الرملة وهو من أشهر أبواب غرناطة[٥] وباب الدباغين وباب الطوابين[٦] وباب الفخارين[٧] وباب الخندق وباب الدفاف وباب البنود[٨]، وهو باب ضخم ذو عقد مزدوج على شكل حدوة الفرس أحدهما خلف الآخر يتحرك بينهما مصراعا البابين الخشبيين[٩]، ويوجد هذا الباب بربض البيازين[١٠] أما الباب الثالث عشر فهو باب الأسدر[١١] أو باب البنيدة[١٢] ويرجع هذا الباب إلى القرن الحادى عشر ويذكر مورينو أن هذا الباب على صغر حجمه كان كبير الأهمية لتعذر دخول العدو منه فى حالة الهجوم على المدينة[١٣].

الدور والقصور:

دور العامة:

امتازت غرناطة ـ شأنها شأن باقى المدن الأندلسية ـ بشوارعها الضيقة الملتوية وأزقتها

---

(١) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٠، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٤.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠٧ ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ ص ٧٤، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣.

(٣) العمرى: وصف أفريقية: ص ٤٠ هامش رقم ٢.

(٤) العمرى: المصدر السابق: نفس الصفحة، القلقشندى: نفس المصدر، جـ ٥ نفس الصفحة.

(٥) العمرى: المصدر السابق: نفس الصفحة، القلقشندى: نفس المصدر، جـ ٥ نفس الصفحة (ص ٢١٤).

(٦) العمرى: نفس المصدر والصفحة، القلقشندى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٤.

(٧) «وكان موقعه تجاه القرية المسماه بالفخار وهى من أطراف غرناطة الشمالية وتسمى اليوم Al Facar ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٩٤ هامش رقم ٢.

(٨) العمرى: نفس المصدر والصفحة: القلقشندى: نفس المصدر والصفحة.

(٩) مورينو: الفن الاسلامى فى أسبانيا ص ٣٠٥.

(١٠) العمرى: نفس المصدر والصفحة.

(١١) القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٤.

(١٢) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤١.

(١٣) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا ٣٠٥.

obeikandl.com

المغلقة وميادينها القليلة[١] ولا بد أنها خلت من الأبنية الكبيرة الفخمة[٢] على اختلاف أنواعها بما فى ذلك المساجد الكبيرة والأضرحة الواسعة، ولا بد وأن ارتفاع مبانيها لم يتعد متراً ونصف المتر[٣]، ويعلل المؤرخ توروس بلباس هذه الظاهرة بأنه كان يراعى فى بناء تلك الدور الناحية العملية فقط[٤] ويتفق هذا الرأى مع ما ذكره ابن عبدون فى كتاب الحسبة من أن المنازل ما هى إلا أردية تحمى النفس والروح والجسد وتحفظ المتاع[٥] فمنازل مالقة برغم صغر حجمها كانت منعشة ذات رسوم بديعة[٦]، ولم يكن بجدران المنازل سوى الأبواب والمداخل وكانت هذه الأبواب صغيرة وخالية تماما من الزخرفة، كما كانت نوافذ المنازل قليلة ذات شيش خشبى[٧]، كما كانت أبواب منازل غرناطة تقفل بضلفتين ومزلاج خشبى[٨].

أما عن نظام المنزل وطابعه العام، فإنه لم يختلف عن نظام المنزل الإسلامى ذى الطراز المميز، فقد جرت العادة على أن يؤدى بابه إلى دهليز يتناسب عادة مع حجم المنزل ويفضى هذا الدهليز إلى صحن المنزل الذى تلتف حوله الغرف، وكان صحن المنزل يمثل جزءاً هاماً فى كل منزل باستثناء المنازل التى كانت تقع خارج المدن أو فى أماكن منعزلة

(١) توروس بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد، العدد الأول السنة الأولى سنة ١٩٥٣ م / ١٣٧٣ هـ ص ٩٧ ترجمة علية إبراهيم، «تعددت أنواع المنازل بأسبانيا الإسلامية وتنوعت وذلك بحسب الأحوال التى كانت تنفق عليها، وبحسب الأغراض التى بنيت من أجلها، هذا كما أدخلت عليها تعديلات كثيرة خلال القرون الثمانية للحكم الإسلامى «انظر المرجع السابق ص ١٢٢».

(٢) بخلاف القصور التى كانت تبنى للأمراء والحكام فقد نالها الاهتمام أكثر من دور العامة فقد امتازت مبانى المرابطين بالفخامة والقوة والاتساع مع الإقلال من الزخرفة انظر حسين مؤنس: تطور العمارة الإسلامية فى الأندلس ص ٢١٦، جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥٦.

(٣) توروس بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ٩٧ يذكر بلباس أنه يوجد فى قصبة غرناطة أسس لتسعة منازل وكل واحدة منها لا يشغل أكثر من خمسين متراً انظر المرجع السابق ص ١٢٣.

(٤) بلباس: المرجع السابق: ص ٩٧.

(٥) ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية نشر ليفى بروفنسال سنة ١٩٥٥ ص ٣٤.

(٦) بلباس: نفس المرجع: ص ١٢٣.

(٧) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ١٢٤.

(٨) بلباس المرجع السابق: ص ١٢٧.

عنها، وتكمن أهمية هذا الصحن فى أنه المكان الذى تقوم فيه المرأة بأعمالها المنزلية ويقضى فيه سكان المنزل جانبًا كبيرًا من أوقاتهم ويمارسون فيه حياتهم العائلية كما أنه كان مراحًا للأطفال[١]، وبدأ ظهور الصحن فى منازل الأندلس عامة منذ عصر المرابطين حتى غدا طابعًا عامًا فى كل منازل الأندلس، وكان الصحن يتخذ على شكل المستطيل الذى تقع حوله غرف المنزل أى أن هذا الصحن يفضى إلى كل غرف المنزل[٢]، ويتوسط صحن المنزل فى كل البيوت بركة ماء[٣] ـ حتى تلك المنازل قليلة المياه ـ والغرض من هذه البركة هو تلطيف جو المنزل وإضفاء مسحة من الجمال على المنزل كله، فضلاً عن أنها كانت وعاءًا كبيرًا لحفظ الماء اللازم للحياة المنزلية[٤]، وكانت المنازل ذات الطابقين تحتوى على سلالم خشبية ضيقة ذات درجات غاية فى الارتفاع، وكان سقف الطابق العلوى منخفضًا بعض الشىء، ويضم هذا الطابق الغرف المخصصة للنساء والحياة الخاصة وينفذ إليها الضوء والهواء عن طريق منافذ تطل على الصحن حيث لا تصل أعين الفضوليين من الجيران[٥]، وكانت السلالم من الخشب وتثبت بمسامير[٦].

ولقد خضعت الدور لرقابة المحتسب طوال فترة بنائها كما خضع العمال والبناءون لرقابة المحتسب[٧] وكانت المواد المستخدمة فى البناء هى كتل الآجر[٨] وكان يجرى الاهتمام بتوفير الأعداد المناسبة فيها بما يتناسب وسمك الحائط المراد بناؤها[٩]، كذلك استخدم الرخام فى بناء الدور حيث توفرت مقاطعه فى غرناطة[١٠]، وقد استخدمه

---

(١) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ١٢٧.

(٢) بلباس: المرجع السابق: ص ١٢٨.

(٣) عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب جزءان الدار البيضاء جـ ١ ص ١٣.

(٤) بلباس: المرجع السابق: ص ١٢٧.

(٥) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية ص ١٢٧.

(٦) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٣٦.

(٧) ابن عبدون: المصدر السابق، ص ٤٤، ص ٣٦.

(٨) «هى قوالب من الطوب كانت تستعمل للبناء ولتسقيف الهيكل المسنم للبناء، مورينو: الفن الإسلامى: فى أسبانيا ص ٤٩٦.

(٩) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٣٤.

(١٠) ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٣.

الغرناطيون فى كثير من أعمالهم التجميلية فى بناء الدور وإن كان قطعه ونقله يكلف الكثير[١].

وتفاوتت تبعًا لذلك أسعار الدور بحسب موقعها وحجمها وطريقة بنائها، فكان كراء الدار فى المرية ثلاثة دنانير شهريًا[٢] ونسبت الدور أحيانًا إلى مالكيها كما هى الحال فى الدار المنسوبة إلى خلف والدار المنسوبة لابن جزى[٣].

القصور: قصور الخاصة:

وإلى جانب الدور والمنازل التى سكنتها العامة كانت توجد القصور الفخمة والعمائر العظيمة التى حفلت بها غرناطة، ومن أهم هذه القصور: قصر بنى زبرى: وهى دارٌ ضخمة بناها بنو زبرى الصنهاجيون عند امتلاك غرناطة أواسط القرن الخامس للهجرة[٤]، (الحادى عشر الميلادى) وتشرف هذه الدار على المنظر العام لسهل غرناطة[٥] وقد بنى فى هذه الدار برج متوج بشكل برونزى على نحو دوارة للهواء تصورٌ ديكًا يمتطيه محارب يحمل رمحه ودرقته ويدور مع الريح[٦] وهو يرمز إلى أن من يحكم البلاد فعليه أن يكون حذرًا كالديك ويقبل بوجهه ولا يوليه ظهره وكان يسمى فى القرن السادس عشر ببيت الديك[٧] أو دار الديك.

وقد شيدت هذه الدار من ملاط شديد الصلابة[٨]، يدل على ذلك بعض القطع الحجرية المتبقية فى القصر.

---

(١) المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٩٢، ط ١ سنة ١٩٤٩ م.

(٢) المقرى: المصدر السابق: جـ ١ ص ٢٠٠، ص ٢٠١، ط دار صادر بيروت سنة ١٩٦٨ م.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٢٥.

(٤) العمرى: مسالك الأبصار: (وصف أفريقية) ص ٤٠ انظر المقرى: نفح الطيب: جـ١: ص ١٩٦.

(٥) انظر العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٠ عن وصف القصر انظر مورينو: المرجع السابق: ص ٣٠٦، ص ٣٠٧ «ولم يكتشف باقى القصور إلى الآن وتقام الآن بعض الحفريات للعثور على بقايا القصر» انظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ص ٣١١ هامش رقم ١ تحقيق عبد الهادى التازى العراق سنة ١٩٧٩.

(٦) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٠ هامش رقم ١.

(٧) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٠ هامش رقم ١.

(٨) مورينو: المرجع السابق: ص ٣٠٦، ص ٣٠٧.

قصر شنيل:

ويسمى قصر السيد ويقع خارج غرناطة على الضفة اليسرى لنهر شنيل[١] ويرجع تاريخ بنائه إلى الأمير الموحدى أبى إسحاق ابن الخليفة أبى يعقوب يوسف (٦١٥هـ سنة ١٢١٨م)[٢] وهو عبارة عن بناء يشتمل على باب عربى ذى عقود[٣] رائعة وبكل جانب منه عقدان ويؤدى الباب بالداخل إلى فناء مربع الشكل به أربعة عقود رائعة بكل جانب عقدان وللقصر قبة يبلغ ارتفاعها اثنى عشر مترا[٤] تكسوها المقرنصات[٥] الرائعة، هذا ولم يتبق من القصر الآن سوى البقايا التى بها النقوش والزخارف المذكورة، كما يوجد فى غرناطة قصران آخران من عصر الموحدين، هما قصر نجد والدار البيضاء، وينسب هذا القصران إلى الخليفة أبى مالك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن[٦].

المتنزهات:

كما انتشرت فى غرناطة وأقاليمها المتنزهات والحدائق والتى اتخذها الناس مكانا للنزهة والترويح عن النفس ومن أشهر متنزهات غرناطة فحصها[٧] المعروف بمرج غرناطة، وهو

---

(١) ما زال هذا القصر باقيا إلى الآن كأحد آثار غرناطة الهامة.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١١٩ هامش ٣، ص ١٢٧، ص ٣١٦، ص ٥٢٣، مجهول: الحلل الموشية ص ١٢٦ تحقيق عبد القادر زمامة طبعة تونس.

(٣) العقود: جمع عقد وهو عبارة عن قوس من البناء مؤلف من قطع حجرية ملتصقة فيما بينها على أشكال مختلفة، انظر شرح الاصطلاح فى مورينو المرجع السابق (شرح الاصطلاح) ص ٤٨٩.

(٤) عن قصر شنيل: انظر محمد كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة ص ١٨٣، ص ١٨٤، جـ ١ سنة ١٩٦٩ م، انظر أيضًا حسين مؤنس: الآثار الإسلامية فى غرناطة ص ٨٢ مجلة ٨٢ مجلة العرب العدد ٨٩ أبريل سنة ١٩٦٢ م، عنان: الآثار الأندلسية: ص ١٧٦.

(٥) المقرنصات: نوع من الزخارف تشبه عش النمل بين جوفاتها الصغيرة دلايات منشورية الشكل انظر مورينو: المرجع السابق: ص ٤٨٨.

(٦) مجهول: الحلل الموشية: ص ١٦٢، تحقيق عبد القادر زمامة.

(٧) قال «يقولون يوجد من أرض الأندلس، مواضع تسمى الفحص وسألت بعض أهل الأندلس ما يعنون به؟ فقال كل موضع يسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يزرع نسميه فحص ثم صار عتما لعدة مواضع» ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٢٨، هامش رقم ١.

بساط أخضر تشرف عليه المدينة من الجنوب الشرقى، وكان من أنضر وأبدع بقاع الأندلس الخضراء بمزارعه اليانعة وحدائقه الغناء ولذا صار متنزها للناس لا سيما فى ليالى الصيف[١].

عين الدمع:

وهى بقعة من ضواحى غرناطة كانت أيام المسلمين متنزها بديعا تغطيها المروج والحدائق الغناء ويبدو من وصف ابن الخطيب لها أنها كانت قريبة من سفح جبل الفخار وكانت تسمى عندئذ بعين الدمعة، ويشغل موقعها سطح تلال البيازين[٢]، كذلك كان من بين متنزهات غرناطة المشهورة حوز مؤمل[٣] واللشتة والزاوية والمشايخ[٤].

متنزهات نهر شنيل:

وهو النهر الذى تقع عليه غرناطة ويسمى أيضا عند الأندلسيين بنهر سنجيل، وشنيل هو أحد فروع نهر الوادى الكبير وكان لأهل غرناطة شغف وولع بالجلوس على ضفافه، حيث يقضون الأمسيات فى أنس وسمر وخاصة فى فصل الربيع والصيف وبلغ من حبهم لهذا أن فضلوه على النيل ولهذا فقد أضافوا حرف الشين إلى حروف النيل فأصبحت تعنى ألف نيل (شنيل) فكأنهم قدروه بألف نيل[٥].

ولم تكن مدينة غرناطة تضم فقط الحدائق والمتنزهات بل حفلت بعض مدنها وأعمالها أيضا بالمتنزهات البديعة والحدائق الغناء، فكان يوجد بمدينة المرية بعض المتنزهات والمنى الخضراء ومن أجمل هذه المتنزهات منى عبدوس، ومنى غسان، والنجاد وبركة الصفر، وعينو النطية[٦].

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٩ هامش (١)، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٦٤، سنة ١٩٤٩.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٢١ هامش رقم ٤ انظر

Simonet, Descripcion de p.69.

Gayngos: The History of the Mohammedan dynasties in Spain 1.p. 351Note 86

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢١٤، ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١١٧.

(٤) ابن سعيد: المغرب، جـ ٢ ص ١٠٣، عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١١٨، ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ١٠٣.

(٦) ابن سعيد المغرب: جـ ٢ ص ١٩٤.

وإلى جانب المتنزهات العامة وجدت أيضًا المتنزهات الخاصة وهى الحدائق والبساتين الخاصة ببعض الأفراد والتى كانت ملجأ ومرتعًا لأصحابها يتنزهون فيها ويمرحون فيها، ومن هذه المتنزهات جنة[١] فدان عصام[٢] والجنة المنسوبة إلى قداح بن سحنون[٣] والجنة المنسوبة لابن المؤذن[٤] والجنة المنسوبة لابن كامل[٥] وجنة ابن عمران[٦].

المساجد:

يعتبر المسجد من أهم العمائر فى المدن الإسلامية عامة، خاصة وأن دولة المرابطين ودولة الموحدين قد قامتا على أساس دعوتين دينيتين، دعوة ابن ياسين ودعوة ابن تومرت، ولهذا فقد أبدوا اهتمامًا كبيرًا ببناء المساجد وتجديدها وتعميرها باعتبارها مراكز الإشعاع الفكرى والدينى للدعوتين المرابطية والموحدية، ولذا فقد أصبح بحكم أهميته الدينية والتعليمية[٧] وإسهامه فى إثراء الحياة الفكرية من أهم المعالم الإسلامية.

وتفاوتت سعته بحسب عدد سكان المنطقة[٨] أو المدينة التى أقيم فيها، فمسجد غرناطة الأكبر كان يحتوى على أحد عشر رواقا شيده بنو زيرى وأبدوا اهتمامًا كبيرًا بعمارته[٩]، أما مسجد البيازين فكان به تسع أروقة كذلك كان مسجد المرية يضم سبعة

---

(١) «الجنة هنا بمعنى الحديقة أو البستان» وهو اصطلاح ذائع فى اللغة الغرناطية انظر هامش الإحاطة جـ ١ ص ١١٦ هامش ٣.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١١٦.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١١٦.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ نفس الصفحة.

(٦) ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ نفس الصفحة.

(٧) «كان المسجد فى البلاد الأندلسية يمثل أيضا مركزًا للعلوم والمعارف يتلقى فيه الطلبة دروسهم على أيدى العلماء، إذ لم تكن هناك مدارس مخصصة لتلقى العلم فأصبحت المساجد بمثابة مدارس يتلقى فيها الطلاب الدروس من أساتذتهم، وكان يجرى فيها قراءة العلوم والمعارف على الطلاب نظير أجر معلوم يدفعه الطلاب لأساتذتهم» انظر المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ٢٠٥ ط سنة ١٩٦٧، تحقيق إحسان عباس.

(٨) بلباس: الأبنية الأسبانية ص ٩٩.

(٩) ابن خلدون: العبر جـ ١٨٦.

أروقة وذلك بعد توسيعه وزيادة مساحته، أما مسجد مالقة الجامع فكان يضم خمسة أروقة[١].

ويعتبر مسجد مدينة البيرة من أقدم المساجد فى إقليم غرناطة فقد شيده التابعى حنش ابن عبد الله الصنعانى الذى توفى سنة (١٠٠هـ/ ٧١٨م ـ ٧١٩م)[٢]، والذى لم يكمل بناؤه نظراً لقلة عدد المسلمين الذين كانت تضمهم المدينة حينئذ[٣]، حتى إذا كانت سنة (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) أى بعد نحو قرن ونصف من الزمان أتم بناءه الأمير محمد بن عبد الله[٤]، كذلك شيد الفقيه المحدث معاوية بن صالح الحمصى مسجداً فى قصبة مالقة[٥] ثم ما لبث المرابطون أن أدخلوا فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى تجديدا هاما فى بناء المساجد الأندلسية وهو استخدام أكتاف من الطوب الأحمر لترتكز عليها العقود بدلاً من الأعمدة الحجرية أو الرخامية التى كانت تستخدم فى ذلك الوقت[٦]، ومع هذا فقد اشتهر الغرناطيون بكثرة استخدام الرخام فى بناء المساجد كما هو واضح فى مسجد البيازين[٧].

ويصف القلقشندى مسجد غرناطة الجامع بقوله «وجامعها من أبدع الجوامع وأحسنها

---

(١) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٧٨، بلباس: نفس المرجع ص ١٠٣، عن المساجد الإسلامية فى المغرب والأندلس: انظر: Elie Lambert: les Mosquees de Type andlou en Espagne et en Afrique du Nord (Al Andalus, Xiv 1999 p.p 73 286)

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٩ «وهو حنش بن عبد الله الصنعانى أحد التابعين الداخلين إلى الأندلس، روى عن على بن أبى طالب وفضالة بن عبيد» انظر المراكشى، المعجب: ص ٣٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٢، بلباس: ص ٩٩.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٢ ص ٤٨ «التعبير هنا عن أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم توفى سنة ٢٧٣ هـ وأمه أم ولد اسمها تهتر فاتصلت ولايته إلى أن توفى فى العام المذكور وكان مولده سنة ٢٠٧ هـ» انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٢، المراكشى: المعجب: ص ٤٩ Levi - Provencal, La Peninsula Iberique au moyen age.

(٥) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٧٨: كان الأمير عبد الرحمن الأول قد عينه قاضيا ثم توفى بالأندلس سنة ١٥٨ هـ ـ ٧٧٤ م / ٧٧٥ م انظر ابن عذارى البيان المغرب: جـ ٢ ص ٤٨.

(٦) بلباس: المرجع السابق: ص ١٠١.

(٧) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ١١٠.

منظرًا وهو محكم البناء لا يلاصقه بناء، تحف به دكاكين الشهود والعطارين، وقد قام سقفه على أعمدة حسان والماء يجرى داخله»[١].

وانفردت صحون المساجد الأندلسية بمسحة من الجمال فى عمارتها بالجنان وحدائق الفاكهة، فيذكر العمرى فى كتابه مسالك الأبصار: أن صحن المسجد الأكبر بمالقة كانت به أشجار برتقال ونخيل[٢].

كذلك كان مسجد المرية الجامع له حديقة كبيرة مربعة الشكل بها أشجار وأنواع أخرى من الأشجار ورصفت أرضيتها بقطع رخامية وتتوسطها نافورة، كما كان فى وسط صحن مسجد وادى آش حديقة جميلة ونافورة استخدمت للوضوء، وكان مسجد البيازين الأكبر ذا حديقة بديعة بها أشجار لليمون[٣].

ولقد أدرك النصارى دور المسجد وأهميته بالنسبة للمسلمين، فعندما كانت المدن الأندلسية تسقط فى أيديهم كانوا يعمدون إلى الدخول إلى المسجد ويحلون قبلته[٤] ويجعلون مئذنته برجًا لكنيسة، ويذكر بلباس أنه ما زالت بعض المآذن باقية فى أسبانيا بسبب تحويلها إلى أبراج للكنائس[٥].

مثل المئذنة الغرناطية التى صارت برجًا لأجراس كنيسة سان خوسية[٦]، كذلك كانت مئذنة مسجد المرابطين فى حى البيازين[٧] وكان هذا المسجد من أقدم مساجد غرناطة.

أما مسجد غرناطة الجامع فقد تحول هو أيضًا إلى كنيسة سان سلفادور وما زالت بعض

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٤.
(٢) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٧، ص ٤٨.
(٣) العمرى: مسالك الأبصار: وصف أفريقية ص ٤٧.
(٤) عنان: الآثار الأندلسية ص ١٦٨.
(٥) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ١٠٥.
(٦) عنان: الآثار الأندلسية ص ١٦٨، بلباس: نفس المرجع: ص ١٠٥ ويذكر بلباس أنه أزاح بنفسه ـ منذ ٢٢ سنة من تأليفه كتابه الأبنية الإسلامية الأسبانية ـ الغطاء الذى كان يغطى جدران المئذنة الحجرية والذى كان يخفى عمارتها الموحدية ولذا بعد مرور قرون عديدة من أن تسترجع طابعها الأول انظر المرجع السابق ص ١٠٦.
(٧) عنان: المرجع السابق: نفس الصفحة.

أسواره باقية وكـذلك عدد من بوائكه وجزء من صحنه[١]، ويقع هذا المسـجد أيضًا بربض البيازين، كذلك حول النصارى مسجدًا آخر يقع فى نفس الربض إلى كنيسة خوان دى لوس رس وهو من العصر الموحدى[٢]، هذا وقد خضعت المساجـد لرقابة المحتسب فكان عليه أن يتفقد أفنية المساجد حـتى يتأكد من طهارتها ونظافتها[٣]، ومن الذين تولوا القـضاء فى مسجد غرناطة الأكبر الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحـاربى من أهل غرناطة، برع فى علوم القرآن والـسنة وتولى القضاء بغـرناطة والمرية، كان مولده سنة ٤١٨هـ وتوفى سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧[٤].

الحمامات:

كان للحمام أهمية كبرى فى الحياة الاجتـماعية فى الأندلس فقد كانت عادة الاستحمام متأصله فى نفـوس الأندلسيين، فكانوا يبالغون في العناية بنظافـة أبدانهم وثيابهم ويكثرون من الاستحمام، وفيهم من لا يكون عنده قوت يومه، فيطويه صائمًا ويبتاع صابونًا يغسل به ثيابه[٥].

وإن كان المألوف أن يستعـمل الجنسان نفس الحمامات[٦] وفى هذه الحـالة أوصى ابن عبدون بأن لا يجلـس متقبل الحمـام للنساء فإن الحمـام موضع عورة[٧]، ولهـذا يجب أن تكون متقبلة الحمام امرأة وذلك فى المواعيد المخصصة للنساء[٨].

هذا وقد خـضعت الحمامـات لرقابة المحـتسب فيرى ابن عـبدون أنه يجب أن تكون

---

(١) عنان: المرجع السابق: ص ١٦٨.

(٢) عنان: المرجع السابق: ص ١٦٩.

(٣) الجرسفى: ثلاث رسائل أندلسية ص ١٢١.

(٤) الضـبى: بغيـة الملتـمس: ترجمـة ١١٠٣ المكتـبة الأندلسـيـة، ابن بشكوال الصلة رقم ٨٢٩، المغرب: فى أشعار أهل المغرب، لابن دحية: ص ٩١.

(٥) المقرى: نفح الطيب: جـ١ ص ٢٠٨ ط القاهرة تحقيق محيى الدين عبد الحميد سنة ١٩٤٩ م.

(٦) بلباس: نفس المرجع: ص ١١٥.

(٧) ابن عبدون: رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب، ص ٤٨.

(٨) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤٨.

صهاريج الحمامات مغطاة، منعا للتلوث لأنها لو كانت مكشوفة لم تؤمن نجاستها، فهو موضع طهارة[١].

وحرصًا على نظافة الحمام كان المحتسب يأمر أصحاب الخدمة بالحمامات بأن يبيتوا محاكهم التى يحكون بها أرجل الناس فى الملح والماء كل ليلة لئلا تكتسب الروائح ويغسلون مئازرهم كل عشية بالصابون[٢] كذلك أوصى الجرسفى بالحرص على نظافة الحمام وستر العورة فيه[٣] كما أوصى ابن عبدون بأنه لا يجب أن يحك جسم مسلم نصرانيًا أو يهوديًا[٤]، وأوصى ابن عبدون بألا يمشى الطياب ولا الحكاك ولا الحجام فى الحمام إلا بالتبان والسراويلات[٥]، وكثرت الحمامات فى غرناطة كما سبق أن ذكرنا ومن أشهرها حمام التاج الواقع بالقرب من نهر حدرة وحمام فحص اللوز أو حمام عشار ويسمى أيضا الحمام الصغير وهذا الحمام من الأبنية الهامة فى القرن الحادى عشر الميلادى وهو يقع فى جادة نهر حدرة وهو سليم إلى حد كبير لأنه يتفق مع ذلك النوع من الأبنية التى تقوم على خصائص معمارية خاصة بذلك القرن[٦].

ويتقدم الحمام بهو تتوسطه بركة وبعض الممرات وربما مرحاض فى؟ وبابان عليهما عقد أقل من نصف دائرة، أحدهما للصعود إلى السطوح والآخر يفضى إلى الغرفة الأولى لخلع الملابس والتى كانت تسمى ببيت المسلح تتلوها غرفة أخرى يطلق عليها اسم «البارد» وتقابل كلمة (Tepidarium) وفى الحمامات الرومانية وهى مستطيلة وفى طرفيها حاجزان من البناء يؤلفهما عقدان على شكل حدوة الفرس فوق أعمدة لم يحفظ منها شىء يلى ذلك «البيت الأوسط» ويقابل البارد ثلاث ممرات فيها عقود على شكل حدوة الفرس وبهذه الممرات قبوات نصف اسطوانية فيها طاقات تجلب الضوء، وتؤدى هذه الممرات إلى البيت الساخن[٧].

(١) ابن عبدون: المرجع السابق: نفس الصفحة.
(٢) السقطى: فى آداب الحسبة ص ٦٧.
(٣) الجرسفى: رسالة فى الحسبة ص ١٢١.
(٤) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤٨.
(٥) ابن عبدون: نفس المصدر والصفحة.
(٦) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا: ص ٣٠٩.
(٧) مورينو: الفن الإسلامى: فى أسبانيا ص ٣٠٩.

كذلك توجد غرفتان صغيرتان بهما أحواض الاستحمام المغطس[١]، وهذه الحجرات لها أسقف على هيئة قبو نصف اسطوانى وفيها فتحات فتحات صغيرة ينفذ منها الضوء[٢].

وجدران هذا الحمام مبنية من ملاط شديد الصلابة، أما الحواجز والعقود والقباب فمن الآجر مع ملاط من الجير[٣].

حمام اليهود فى بسطة:

كذلك كانت توجد حمامات خاصة بالنصارى واليهود وكانت فى مدينة بسطة إحدى مدن إقليم غرناطة حمام يشبه الحمام الموجود فى غرناطة ولكنه أقدم منه عهدًا، ويحتفظ هذا الحمام ببيوته الثلاثة: بيت الماء البارد وبيت الماء الفاتر وبيت الماء الساخن، وعقود هذا الحمام على شكل حدوة الفرس[٤]، كما يوجد حمام ثالث فى قصبة المرية وهو مؤلف من خمس غرف فى صف واحد فى اثنتين منها حواجز جانبية من البناء وبالغرفة الأخيرة أنابيب التسخين والمداخن المعروفة الممتدة فى الجدران، وعقود هذا الحمام من الآجر أيضًا[٥].

المقابر:

أما المقابر فكانت تقع خارج المدينة بجوار باب البيرة[٦] وتسمى جبانة باب البيرة.

كما وجدت عدة مقابر أخرى فى غرناطة منها مقابر بجوار باب الفخارين[٧] فى أطراف غرناطة الشمالية، وكذلك مقبرة تسمى مقبرة النخيل وتقع خارج المدينة ويبدو أنها كانت

---

(١) مورينو: المرجع السابق: ص ٣١٠ عن نظام الحمام انظر زكى محمد حسن: فنون الإسلام ١٢٠.

(٢) زكى محمد حسن: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) مورينو: نفس المرجع والصفحة.

(٤) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا ص ٣١٦.

(٥) مورينو: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٦) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة جـ ١ ص ٩٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ابن الخطيب: الإحاطة.

(٧) ابن الخطيب: المصدر السابق، جـ ١ ص ١٩٤، باب الفخارين أحد أبواب غرناطة وقد سبق التعريف به انظر ص.

مخصصة لدفن الفقهاء والعلماء[١] كذلك وجدت بغرناطة مقبرة أخرى تسمى مقبرة السبيكة[٢].

أما مدينة المرية فقد حوت أيضًا عددًا من المقابر التى اتخذت خارج أبواب المدينة ومن أشهر هذه المقابر مقبرة باب بجانة[٣] كذلك مالقة كان يوجد بها عدد من المقابر منها باب قبالة وهى تقع خارج الباب على مقربة من رابعة بنى عمار[٤].

وغلبت البساطة والاعتدال على مآتم الاندلسيين بعد تشييع موتاهم إلى مثواهم الأخير، ولكن ذلك لم يمنع الناس من الحزن على أحبائهم وذويهم خاصة إذا كان المتوفى له مكانة اجتماعية كالعلماء والفقهاء والنابهين، فيروى ابن الخطيب ما أصاب الناس من حزن على الفقيه أحمد بن أبى القاسم بن عبد الرحمن المعروف بابن القباب حين توفى بغرناطة «وكانت جنازته بالغة أقصى آيات الاحتفال ففر لها الناس من كل صوب واحتمل طلبة العلم نعشه على رؤوسهم. . . وتبعه ثناء جميل وجزع كبير»[٥].

وجرت العادة على حفر القبر الذى يوارى الميت فيه بحيث يعمق فى الأرض حتى لا تفوح رائحة الموتى ولا تتمكن السباع والكلاب من نبشهم[٦]، وكانت المقابر تحفر عادة فى الأماكن المتماسكة من الأرض حتى لا تنهار[٧]، وكان الناس يفضلون دفن موتاهم فى مقابر بعيدة عن سكنهم، ولذلك كانت المقابر تقع خارج المدن وفى بعض الأحيان خصصت مقابر لبعض العائلات ونسبت إليها: مثل مقبرة الشيخ الزاهد أبى العباس بن مكنون[٨]، كذلك كان بعض الناس يكتبون على مقابرهم اسم المتوفى وتاريخ وفاته مع بعض الآيات القرآنية وتحفر على لوح من الرخام يوضع على المقبرة[٩]، وكانت شواهد

(١) ابن الأبار: التكملة جـ ٢ ص ٥١٠.
(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٥٥٤.
(٣) ابن الأبار: نفس المصدر: جـ ١ ص ٨٤.
(٤) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٦٦.
(٥) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٩٢، ص ١٩٣.
(٦) السقطى: فى آداب الحسبة ص ٦٨.
(٧) الطرطوشى: الحوادث والبدع: تحقيق محمد الطالبى، تونس ١٩٥٩ م ص ١٥٧.
(٨) ابن الخطيب: الإحاطة: المصدر السابق: جـ ١ ص ٢٠٣.
(٩) ابن الأبار: التكملة: جـ ١ ص ٨٣، ص ٨٤، ابن بشكوال: الصلة: ص ٥٢٧، ص ٥٢٨.

القبور آثارًا هامة على مر العصور، وجرى بناء المقابر فى الأندلس من الحجارة أحيانًا إذ كان بعض الناس يبنون مقامًا صغيرًا فوق اللحد، وكانوا يبنون فى بعض الأحيان دورًا فى هذه المقابر للمبيت فيها، ولذلك يرى ابن عبدون أن هدم دور المقبرة أولى الأشياء بالأعتاب[١].

ومن كان يموت بعيدًا عن غرناطة كان جسده يحمل ليدفن بها وذلك لجمع الموتى من الأسرة الواحدة فى مقبرة واحدة، ومن أمثلة ذلك الفقيه محمد بن عبد الرحيم بن محمد ابن الفرج من أهل غرناطة وتوفى بأشبيلية سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م وحمل جسده إلى غرناطة ليدفن بها[٢].

هذا وقد اشتغل بعض الفقهاء بتغسيل الموتى[٣] ولم يجدوا غضاضة فى ذلك، ولقد خضعت المقابر أيضًا لرقابة المحتسب، وكانت هناك تقاليد وآداب للمقابر فطالب المحتسبون الناس بالتزام قواعد وآداب المقابر لما لها من حرمة وقدسية، فقد حرص ابن عبدون على التشدد فى مراقبة المقابر والطرق المؤدية إليها ومنع الباعة المتجولين والشبان من التعرض للنساء فى الطريق[٤]، وكذلك كان إخلاء المقابر من الباعة لأنهم كانوا يكشفون النساء[٥]، ولذا كان يمنع الرجال من الجلوس فى أفنية المقابر خشية تعرضهم للنساء[٦]، ويروى السقطى: أنه لا يجب أن يكون القارئ على الموتى شابًا عزبًا بل تقرأ النساء للنساء فى المآتم وأن يقرأ عميان الرجال على حدة ومن وراء حجاب والنساء من حيث يسمعن[٧]، ولقد حافظ المحتسبون على نظافة القبور فمنعوا بسط الأقذار فى أفنيتها مثل جلود الدباغين والرقاقين[٨].

(١) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٢٧، ص ٤٨.
(٢) ابن الأبار: التكملة ترجمة رقم ٧٥٠ ص ٢٢٩.
(٣) ابن أبى زيد: القيروانى: الرسالة، طبعة الجزائر سنة ١٩٦٨ م ص ١٠٤ ـ ص ١٠٨، فصل فى غسل الموتى وتكفينهم وتحنيطهم.
(٤) ابن عبدون: ص ٢٧.
(٥) ابن عبدون: نفس المصدر والصفحة.
(٦) ابن عبدون: نفس المصدر والصفحة.
(٧) السقطى: فى أدب الحسبة ص ٦٨.
(٨) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٢٧.

ويدعو السقطى إلى منع نواح النساء على المتوفى «يمنع النوائح أن يكن حاسرات كاشفات الوجوه» كذلك أوصى ابن يحيى بن عمر باتباع السنة النبوية فى امتناع الناس عن البكاء والصراخ العالى على الميت[١]، كما شدد على منع النساء فى الخروج إلى المقابر للترحم على الأزواج والأولاد[٢]، ويتشدد الجرسفى فى منع النساء من اتباع الجنائز وزيارة القبور إلا مع زوج أو ذى محرم[٣]، أما الطرطوشى فقد سمح بخروج النساء للجنائز إن كان الميت زوجًا أو أحد الأبوين[٤] أو الأخوة، كذلك شدد ابن عبد الرءوف فى منع الضحك والتلهى عند الجنائز[٥] ويُكره المبيت فى المقبرة والاجتماع فى الأيام التالية للوفاة وفى مناسبات الشهر والسنة وإن ما يوقد فيها من الشموع والبخور فتبذير وإسراف[٦] ويرى أن لا بأس من إرسال الطعام إلى أهل الميت وقد أمر بذلك النبى ﷺ[٧] كنوع من الألفة بين الناس وبعضهم البعض.

ثم إن عامة أهل الأندلس كانوا يلبسون الملابس البيضاء حدادًا على الميت ومظهرًا من مظاهر الحزن[٨].

القناطر:

أقام أهل غرناطة عدة قناطر على الأنهار الموجودة فى غرناطة مثل نهر شنيل ونهر حدرة وغيرها من الأنهار، ويوجد بغرناطة خمس قناطر، فيذكر العمرى فى كتابه مسالك الأبصار ما نصه «وأما حدرة فينحدر من جبل بناحية وادى آش» شرقى شلير فيمر بين بساتين ومزارع وكرمات إلى أن ينتهى إلى غرناطة، فيدخلها على باب بشرقيها، يشق المدينة

(١) يحيى بن عمر: أحكام السوق ص ١٤٣.
(٢) يحيى بن عمر: نفسه ص ١٢٥.
(٣) الجرسفى: ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة ـ ص ١٢١.
(٤) الطرطوشى: الحوادث والبدع ص ١٦٣.
(٥) ابن عبد الرءوف: ثلاث رسائل ص ٧٦.
(٦) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ٢٦٢.
(٧) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق: ص ٧٧.
(٨) المقرى: نفح الطيب: ص ٤٠٤ جـ ١ محيى الدين عبد الحميد ١٩٤٩.

نصفين، تطحن الأرحاء بداخلها وعليه بداخلها خمس: قنطرة ابن رشيق، وقنطرة القاضى، وقنطرة حمام جاش، والقنطرة الجديدة، وقنطرة العود[١].

قنطرة القاضى:

وما زالت بعض آثارها باقية إلى اليوم وهى تقع على نهر حدرة أحد فروع نهر شنيل حيث تجمع بين القصبتين الحمراء[٢] والقديمة[٣]، وقد شيدت قنطرة القاضى هذه حوالى سنة (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ـ ١٠٥٦م) وأن القاض الذى تنسب إليه هو على بن ثوبة الذى تولى القضاء لباديس بن حبوس والذى على يديه عمل منبر جامعها[٤] وتسمى أيضا قنطرة القاضى بعقد حدرة وهو ضخم مشيد من الملاط وهو متقن الزخرفة[٥].

قنطرة شنيل:

أما قنطرة شنيل فتقع بالقرب من التقاء نهر شنيل بنهر حدرة وتتألف القنطرة من خمس عقود نصف دائرية وهذه العقود بواطنها من الآجر أما بقية أجزائها فمشيدة من الحجر الرملى وهذه القنطرة من خصائص الفن الغرناطى وقد بنيت عام (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)[٦].

---

(١) العمرى: مسالك الابصار (وصف أفريقية) ص ٣٧، ص ٣٨، يذكر القلقشندى: أن عليها سواق ومبان محكمة، القلقشندى: المصدر السابق جـ ٥ ص ٢١٥.

(٢) الحمراء تقع فى العدوة الشرقية من غرناطة يفصلها عن القصبة القديمة نهر حدارة ولا تتوافر معلومات حول تاريخ قصبة الحمراء وكل ما يعرف عنها أنه ورد ذكرها فى سنة ٢٧٧ هـ فى عهد عبد الله الأموى، وقد بنيت بعد بناء القصبة القديمة: ابن صاحب الصلاة تاريخ المن بالإمامة ص ١٨٤ هامش رقم ١، ذكرها ابن الأثير فيما يتحدث عن ابن همشك الثائر بغرناطة: انظر ابن الأثير: الكامل جـ ٩ طبعة ١٣٤٨ هـ ص ٧٨. Dozy: Recherches. Page 385

(٣) وتقع هذه القصبة فى العدوة الغربية من غرناطة، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨٤.

(٤) ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر ص ١٨٥ هامش رقم ١، ويذكر ابن الخطيب: القصبة معناها القلعة وهو استعمال ذائع وكانت القصبة تضم فى معظم الأحيان قصراً للحاكم ومسجداً للصلاة وثكنات للجند، انظر ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠١.

(٥) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا ص ٣١٠، أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب: والأندلس ص ٢٢٥.

(٦) مورينو: المرجع السابق ص ٣١٢.